

مذاهب و شخصیات



مَعَ آرنولڈ ہوبز

ترجمہ

محمد عبداللہ الشفیعی





اهداءات ٢٠٠١

المرحوم / محمد والمختار عباس
وحيل وزارة الثقافة سابقا



و



مع آرنولد توينبي

ترجمه محمد عبد السلام الشافعي

في بيت من بيوت المدينة الكبيرة - لندن - يعيش رجل يحسق الريف ويحن اليه ، الرجل طويل غير بدني ، منحني الظهر ، والشعر الفى يتوج الرأس قد أصبح اليوم أبيض اللون . والوجه مستطيل وشاحب ، والحاجبان كثيفان والابتسامة مرسومة على الشفتين فى عنوبة .

فى الرابع عشر من شهر إبريل يكمل الرجل عامه الخامس بعد السبعين . فى هذا البيت الهادئ تعيش معه زوجه التى كانت تعمل مساعدة له فى يوم من الايام ، وكان اسمها فى ذلك الحين فيرونيكام . بولتر ، ثم أصبحت تدعى مسز توينبى منذ عام ١٩٤٦ .

كيف أصبح هذا الرجل ، واسمه آرنولد توينبى ، كيف أصبح مؤرخا ؟ ما الأحداث التى تقف وراء ذلك الكتاب الضخم المسمى « دراسة للتاريخ » ؟ لن نقال اذا قلنا ان التاريخ يجرى فى دعاء الأسرة التى اتحدت منها آرنولد توينبى . كانت والدته مؤرخة ، ومن بين أولى الفتيات اللاتى حصلن على درجات جامعية فى إنجلترا . وفى عام ١٩٥٥ زاره أحد أساتذة جامعة هارفارد ، فوجد صورة هذه الأم المؤرخة على المكتب . ومنها قال الابن : -

« ولقد نشأت وأنا الترض اننى سأغدو بدورى مؤرخا بسببها . هاك صورتها . انها على مكتبى دائما ، تبدو جد شابة . لقد كانت فى أحد الفصول النسائية التى منسقت غيرها فى تلقى دراسات جامعية بجامعة كامبردج بإنجلترا . وعندما كنت صغيرا ، وعندما كانت توسدنى لراشى ليلا ،

اعتادت أن تحكى لى تاريخ إنجلترا فى حلقات ، الى أن انتهينا منه تماما خلال عام تقريبا .

ولم تكن أمه هى المصدر الوحيد الذى رضع منه التاريخ كان هناك فرد آخر فى الأسرة يخر عباب المحيطات بمركب ذى شراع . وكان أن رسم لأرنولد خريطة للعالم أوضح فيها رأس الرجاء الصالح ، وكل محيطات العالم .

ولد أرنولد توينبى فى الرابع عشر من شهر إبريل عام ١٨٨٩ ، وكان ميلاده فى المدينة التى مازال يعيش فيها ، وتلقى علومه فى ووتشستر ، وكلية باليول بجامعة أكسفورد . وكانت دراساته من النوع الكلاسيكى المتمثل أساسا فى اليونانية واللاتينية . وبعد أن انتهى من دراساته ذهب الى اليونان لمدة عام . وهناك ، استرعى نظره أمر آخر غير التاريخ القديم . لقد عرف - لأول مرة - أن هناك شيئا هاما آخر يبلغ فى شظوته شظورة التاريخ القديم . هذا الشيء اسمه : المشاكل المولية المعاصرة .

وعاد من اليونان وهو يحمل هذه التجربة فى ذهنه . فأخذ يلقى محاضراته فى التاريخ القديم باكسفورد ، وفى الوقت نفسه شرع يكتب فى المشاكل المولية المعاصرة ، وينشر مقالاته فى مجلات بريطانية جادة مثل مجلة نيشن Nation وأنجز توينبى أول كتابين له ، وظهر هذان الكتابان عام ١٩١٥ تحت عنوان « القومية والحرب » و « أوروبا الجديدة » .

وفى ذلك العام نفسه عمل فى قسم المخابرات السياسية بوزارة الخارجية البريطانية . وأسفر هذا عن اختيائه فى الولد اليونانى فى مؤتمر السلام الذى انعقد بفرساي .

وفى عام ١٩١٩ انضم الى جامعة لندن كأستاذ للقضايا والآداب والتاريخ البيزنطى واليونانى الحديث . وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٢٥ ، فعين أستاذا باحثا فى التاريخ النوى . وكان قد أنفق عام ١٩٢١ بالخارج لتغطية تطورات الحرب اليونانية التركية لحساب صحيفة مانشستر جارديان ، واستمرت تجربته عن كتاب « المسألة الفريسية فى اليونان وتركيا »

عام ١٩٢٢ | انه عام هام جدا بالنسبة لآرنولد توينبي
وبالنسبة للمهتمين بشئون التاريخ وقصة المدنية . ان كتاب
« المسألة الغربية في اليونان وتركيا » لا يعد شيئا بالقياس
الى شيء آخر وقع في ذلك العام . لقد التقط توينبي ورقة
بيضاء ، لكن أكثر دقة : التقط توينبي نصف ورقة بيضاء
مهمة وخط فيها أولى نقاط السفر الحالى « دراسة للتاريخ »
وطن وهو يكتب لقاطه انه سينفق عامين فى الكتابة ثم يخرج
للناس بكتاب - ولكن مضى العام الأول فى البحث والتنقيب
والتنوين . كذلك مضى العام الثانى ، والثالث ، والرابع . .
وبعد تسعة أعوام كاملة نشر توينبي الأجزاء الثلاثة الأولى . ثم
مضت خمسة أعوام أخرى من العمل الشاق لاعداد الأجزاء
الثلاثة التالية التى ظهرت عام ١٩٣٩ . وبلغ مجموع صفحات
هذه الأجزاء الستة مجتمعة ٣٤٨٨ صفحة . ولم يقف ارتفاع
الهرم عند هذا الحد ، فبعد مضى سبعة وعشرين عاما من ظهور
الفكرة الأولى كان توينبي قد أجز عشرة أجزاء .

ولكن . . . لماذا أخذ توينبي على عاتقه مهمة شسنة
ك هذه ؟ لماذا لم يشرك آخرين معه ؟ لماذا لم تنجز هذا الكتاب
لجنة ؟ أن آرنولد توينبي يمت كلمة « لجنة » عند التعرض
للتأليف . وفى هذا يقول - فى حديث مع كريستوفر رايت:

« لا أعتقد أن هناك لجنة تستطيع أن تؤلف كتابا . ان هناك
أشياء لا حصر لها مما تستطيع اللجنة انجازها . انها تستطيع
أوه ! ، ربما تستطيع أن تحكم بلدا . ولكنى لا أعتقد أنها
تستطيع تأليف كتاب . أعتقد أن الكتاب يجب أن يكون وليد
عقل واحد » .

ولو قد أعدت «دراسة للتاريخ» لجنة من أمانته للتاريخ
لجاء سردا عاديا ، مؤدبا لأحداث العالم كما هى مدون فى الكتب
السابقة واللاحقة . ولكن توينبي أراد أن يعبر فى هذا الكتاب
عن وجهة نظر ، ورأى ، واتجاه - ومن ثم كان لابد أن يكتب
وحده ويحمل مسئوليته . والمحق انها كانت مسئولية
جسيمة .

فلقد هاجم الكتاب كثيرون ، وقال المؤرخون عن بعض
آرائه انها غير منطقية ، أو غير صحيحة ، أو غير واقعية .

وضربوا لذلك أمثلة تأكيدهم لدور الدين فى التاريخ ، فهو يعتبر التاريخ « رؤية للرب وهو يكشف عن نفسه فى الأحداث لأرواح تسمى إليه فى اخلاص » - معارضته للنزعة العسكرية والنزعة القومية - اعراضه القائل بأن للمجتمع شكلا ، وهو الافتراض القائم على اكتشافه للملامح عدة تكرر فى جميع المجتمعات .

ولكن ، كان هناك من يدافع عن هذه الاتجاهات الواضحة فى منهج توينبى ، ومنهم ريتشارد تشيز الذى قال فى مقاله المنشور بسجلة « أميركان سكولار » :

« ان الكبار والمؤثرين من واضعى النظريات - من أمثال ماركس وفرويد وتوينبى - لا يحلقون أثرهم القوى بفضل التكامل المنطقي لنظرياتهم ، وإنما لانهم يملكون فرأيا يحس به الناس لاشعوريا ، يملثونه بقوة عاطفتهم الأخلاقية ، والمحاسن » .

وكتب عنه جيمز فييلمان مقالا مطولا فى « شهيرة تين هسيا » التى ينشرها فى شتيفاي معهد صن يات صن للتهوض بالثقافة والتعليم . وفى المقال قاربه بمؤلف شينجلر « انهيار الغرب The Decline of the West » غير انه أشار الى أن توينبى يتفوق على شينجلر من حيث أن الأول ذو نظرة رحة غير ضيقة ، فتوينبى لم يعتبر انجلترا مركز العالم ، أما شينجلر فالف كتابه من وجهة نظر ألمانية محضنة . هذا ، ويتناول توينبى فى كتابه المجتمعات أو المدنيات الرئيسية الست الموجودة فى عالم اليوم ، وهى المجتمعات أو المدنيات الغربية ، والمسيحية الأورثوذكسية ، والإسلامية ، والهندوكية ومدنية الشرق الأقصى . ولقد بلغ من استيعابه للموضوع الذى يتحلى عنه - وهو موضوع ذو أبعاد زمانية ومكانية ممتدة - أن قال عنه فييلمان : « ان توينبى يالف كل مكان ، سواء كان القرى الصغيرة فى موطن أى فرد ، أو الأركان النائية للأرض فى أى عصر .. وهو يحول كل قصة - بلغة منه - الى « مشوق » ، وقارن البعض كتابه بمؤلف جيبون الشهير « تدهور الامبراطورية الرومانية » ومقطعا .

«The Decline and Fall of the Roman Empire.»

غير أن المدينيات والمجتمعات الموجودة في عالم اليوم
لا تشكل كل الأبعاد التي تناولها في « دراسة للتاريخ » .
لقد بلغ مجموعها ستا وعشرين مدينة عاشت خلال ستة آلاف
عام من تاريخنا . تأمل توينبي هذه القرون ، ثم خرج بأراء
في تاريخ العالم مثيرة جدا . لقد انتهى به البحث الى أن جميع
المدينيات تنتهج نمطا واحدا ، وأن نمو مجتمع أو تدهوره هو
نتيجة التحدي الذي يواجهه هذا المجتمع ونوع الاستجابة
التي يقدم عليها وهو يرد على هذا التحدي . وقد أطلق على هذه
العملية اصطلاح «challenge and response»

ويضرب لذلك مثلا : -

في يوم من الايام كانت صحارى المريفية الشمالية
خسبة بصورة رالعة ، وكانت تحتضن جمعا غفيرا من
الصيدادين . وبمرور الوقت جفت هذه السهول ، وهربت
الحيوانات ، وواجه الصيدادون تحديا كبيرا ، جاء هذا التحدي
في صورة السؤال : كيف يمشقون ؟

ولم يكن بعض الصيدادين بقادرين على مواجهة هذا
التحدي . لم يكن بمقدورهم أن يغيروا أسلوب عيشهم . لقد
أصروا على أن يظلوا صيادين ، فمات فريق منهم وعاش فريق
آخر على الكفاف - في صورة متوحشين متآخرين .

لحق أن فريقا آخر استجاب للتحدي بأن وقف في وجهه
وواجهه : لقد شرع يصوغ حياته من جديد . هاجر هذا
الفريق الى وادي النيل ، وترك الصعيد ، وشرع يجتث
الاحراش ويجلف المستنقعات وينشئ المزارع الجميلة .
وكانت النتيجة أن ازدهروا وخلقوا تلك المدينية المصرية
الرائعة التي عاشت زهاء أربعة آلاف عام .

ويقول توينبي : ان التحدي الذي يضطر المجتمع الى
مواجهته قد يتخذ أشكالا عدة ، والنجاح في مواجهة تحد معين
يلقى دائما الى تحد من نوع آخر . مثال هذا أن اليونانيين
اضطروا بإيدي الأمن الى مواجهة تحدي البيئة ، كانت أرضهم
القفيرة غاصة بالسكان . وواجهوا هذا التحدي بأن أنشئوا
مستعمرات فيما وراء البحار . وصراعان ما أسفر هذا عن تحد
آخر ، تحد سياسي : كيف تتعامل أثينا مع البلدان الخاضعة

فما وتتصامل مع اسيرطة ؟ وفشل الأثينيون في مواجهة هذا التحدي ، وبهذا انهضت المدنية الهيلينية الرائعة ، ووجد توينبي أن الاستجابة الناجحة لتحد ما لا تؤدي الى نجاح كان ، ذلك أن الشعب الظاهر قد يحس بالرضا والقناعة الضارة .

ومن القضايا الأخرى الهامة التي عرض لها توينبي في كتابه : «دراسة للتاريخ» ان معيار النمو ليس في النجاح العسكري أو السياسي أو العلمي ، وإنما في القدرة على الاستجابة الملائمة لسلسلة من التحدي الأقل مادية . ويرى توينبي أن خلاص المدنية الغربية لن يأتي الا بمولد الروح المسيحية من جديد .

— ان منبع الحركة في مدينة معينة مرجعه الفرد الخلاق ، أو أقلية صغيرة من الأفراد .

— ان التدهور الذي يؤدي الى الانهيار ، أو يوقف النمو أو يخلق دولة عالمية استبدادية ينجم دائما عن فشل الأقلية فهذه الأقلية قد تصبح آتية في تفكيرها ، أو متحمسة بصورة استبدادية ، وهي تقضي في النهاية الى انشقاق اجتماعي .

وعندما ظهرت أولى أجزاء «دراسة للتاريخ» لأول مرة اسرعت نظر النواثر الأكاديمية وحدها . غير أن سمرفيل نشر عام ١٩٤٦ موجزا للأجزاء الستة الأولى ، وذلك في مجلد واحد . وبالرغم من دسامة المادة التي احتواها الموجز ، فإنه بيع على نطاق واسع في الولايات المتحدة وبريطانيا . واليوم تعرض المكتبات موجزا في جزأين بعد أن ظهرت الأجزاء الباقية لكتاب توينبي .

وقد بلغ من سعة أفقه ورحابة صدره أنه اعترف بوجود أخطاء فيما كتب في هذه المجلدات كما وجد أنه حين يفكر في مسألة بعد مضي وقت عليها فإنه قد يرى فيها رأيا آخر ، على ضوء ما يستجد من أحداث ومعارف . وهذا جعله يقول عام ١٩٥٥ : « ... وهناك ... كتابي » دراسة للتاريخ» ان ازدياد الاحتمام العام بنظرته الرقيقة الى الشؤون البشرية قد اثار مناقشة وتقدا كبيرين ، وأمل أن تتضاعف

المنافسة ويتضاعف النقد . وسيدفعنى هذا الى اعادة النظر
فى افكارى . ويحتمل أن يظهر هذا فى شكل كتاب جديد .
وعندما اشتبك مع سفير اسرائيل فى ذلك النقاش الشهير
الذى هاجم فيه الصهيونيين ودافع عن حقوق العرب ، قال :
إنه مسيعيد النظر فى بعض أخطائه ويصححها فى كتاب
جديد .

وكان آرنولد توينبى عند وعده ، ففى النصف الثانى.
من عام ١٩٦١ ظهر أحدث جزء فى موسوعة « دراسة للتاريخ »
واسمه « اعادة نظر Reconsiderations » ، وعندهما زارنا
آرنولد توينبى كانت تلك أول مرة يضع فيها المؤرخ الكبير
قدمه فى أرض افريقية . لقد زار الولايات المتحدة الأمريكية
وطار فوق غابة الأمازون ، وهبط فى بورما ، وكتب حمرا
جاس به خلال وديان ايران الحفية . بل لقد استغرقت احدى
رحلاته سبعة عشر شهرا كاملا . وأكثر من هذا أنه اقترب فى
آخر رحلة طويلة له من الأرض الافريقية - وذلك عندما زار
قطاع غزة . ولكن كاتب التاريخ زارنا وشهد لأول مرة قطعة
من التاريخ الغابر الاصيل ، ووقف لأول مرة أمام الأهرام.
وخوفو ، وهو الذى يعرف عنهما أكثر مما يعرفه كثيرون منا .

ولا يزال مؤرخنا يعيش فى المدينة الكبيرة التى رأى
فيها التنوع « لندن » ولكنه يعن الى الريف ، ويحب الفلاحين
وعندما ماله مراسل آخر ساعة عما يريد أن يراه فى زيارته
الأولى لنا أشار الى الفلاحين قائلا : أريد أن أشاهد ما فعله
جمال عبد الناصر للفلاحين .

ان وراء حنين آرنولد توينبى الى الريف وحيه للفلاحين.
قصه ، وفلسفة .

فى الرحلة الطويلة التى استغرقت سبعة عشر شهرا
زار آرنولد توينبى عواصم كثيرة فأحس بالضيق . ان عواصم
العالم تشابه وتتخذ طابعا موحدا شبيها فشيئا - من الأفضل
أن أتركه هو يتكلم :

أما بالنسبة لعواصم العالم فإنها ، كلها ، تزداد ضخامة
وتشابهها ، ومضاطيسية . إنها تجذبك الى بيئتها ، بيت.
العنكبوت (وتتأمر معها جميع وسائل النقل) ، وما أن

تقتنصك حتى ترفض اخلاء سبيلك . انها لا تستطيع ان
تتصور أنك تريد أن تهرب منها حقاً الى الريف . ولكن
الريف ، حتى في يومنا هذا ، مازال هو العالم الحقيقي . ان
العاصمة لا تمثل البلد في قليل أو كثير . لقد ولدت في
لندن ، ولقد عشت في لندن طوال حياتي . ولكنني اذا أردت
أن أعد درامية جادة عن موطني فسأهرب من لندن وأذهب
نفسى في هدرزفيلد وورينجتون . ان عجز العاصمة عن تمثيل
وطنها لأحد عيوبها النوعية ، غير أن هذا العجز يصل الى
الذروة في البلدان - وهي تمثل الغالبية - التي تمر اليوم
بمرحلة التحضر . ذلك لأن التحضر يبدأ في المدن ، وهو
يشكل حياة الحضر وفقاً للأنماط الغربية ، وهكذا نجد الهوة
بين العاصمة والريف - في أمريكا اللاتينية . والبلدان
الآسيوية - هائلة جداً ، كما أنها آخذة في الاتساع المنتظم
مثال هذا أنك تشعر ، وأنت تدخل طهران ، وكأنك قد خلقت
دواخ إيران - التي تعتبر طهران عاصمتها الرسمية .
وإذا كان هدف المسافرين هو رؤية عواصم العالم ذات الطابع
الموحد لأخرى به ان يجنب نفسه عناء حزم حقيقته وأينما
كان المرء فلا بد من أن يصطدم بهذا النتائج الذي صلبه عصرنا
الحديث .

لقد ضاع الكثير - الكثير جداً - من شهوري المدينة
السبعة عشر في الذبول داخل العواصم . وضاع الكثير منها
في الاندفاع داخل الطائرات . غير أنني لم أخسر تماماً تلك
المركبة التي خضعها مع هذين العلوين اللذين يترصدان
المسافر : العاصمة والطائرة . لقد مرت فوق ذوابات
أشجار شابة الأمازون مستقلاً طائرة برمائية ، وارتقيت أحد
وديان إيران الخفية معطياً بظهر حماز ، وتسلمت في طريق
سايك عند بئرا ، سيرا على الأقدام . ان هذه اللحظات
للعالم الحقيقي شذرات لا تقدر بثمن ،

انها تحية لللاحنا الحصري ، ولكل فلاح في رحاب الكرة
الأرضية المسبحة . ان هذا الرجل الذي يؤرخ المدينيات
يبحث عن الجوهر والمنبع ، ويسمى وراء القوى الحقيقية التي
تشكل الوطن ، في أية بقعة كان هذا الوطن .

وكان توينبي يرى أن التاريخ تجميع لتجارب الأمم

للاستفادة منها اليوم . بهذه الطريقة يستطيع الحاضر أن يستفيد من الماضي . ولكن كيف يستفيد الماضي من الحاضر؟ كيف نستغل الحاضر في تحقيق فكرتنا عن أناس عاشوا في الماضي ، ونريد أن نعرف عنهم المزيد ؟ .

يسلم توينبي بأنه لم يكن بمستطيع تأليف موسوعة «دراسة للتاريخ» لولا دراسته للمسائل المعاصرة - مع أن هذه الموسوعة تتناول الماضي فقط . وهو يفسر هذا النقص بقوله :

« . . . ان العصر الوحيد الذي تضع فيه يدك على أناس أحياء هو عصرك أنت ، عندما تكون حياً . فإذا استطعت أن تضع يدك عليهم وهم أحياء ودرستهم في هذه الحياة حسن ، ربما استطعت إذن أن تحيي الذين عاشوا عام ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠ قبل الميلاد . ولكنك إذا عجزت عن دراسة الأحياء ، ودراسة طبيعتهم ، عجزت من ثم عن دراسة الجنس البشري في أي عصر كان » .

وإذا كان موضوع كتابه الضخم هو المدنيات التي ظهرت في عالمنا فلا بد من كلمة هنا عن مفهوم المدنية عند توينبي . تعرض توينبي لهذا المفهوم في مقال لم ينشر بموسوعته . واسم المقال «لقاءات بين المدنيات» . يقول توينبي :

« ماذا تعني بكلمة مدنية ؟

واضح أننا نعني بها شيئاً ، ذلك لأننا نعني قبل أن نحاول تحديد مقصودنا نجد أن تصنيف المجتمعات الانسانية - المدنية الغربية ، الاسلامية ، مدنية الشرق الأقصى ، الهندوكية وهلم جرا - يبدو شيئاً مقبولا . ان هذه الاسماء ترسم في أذهاننا صوراً محددة للدين ، والعقيدة ، والتصور والسلوك ، والمبادئ . . . واعتقد أنني أعرف ما الذي أعنيه بكلمة مدنية : انني متيقن على الأقل من أنني أعرف كيف وصلت الى رأيي الخاص فيها .

انني أقصد بالمدنية أصغر وحدة للدراسة التاريخية يصل إليها المرء حين يحاول فهم تاريخ بلده : تكون الولايات المتحدة الأمريكية أو المملكة المتحدة . ولو حاولت فهم تاريخ

الولايات المتحدة في حد ذاته لبدأ لك غير مفهوم : لن تستطيع أن تفهم النور الذي لمبه الحكم الفدرالى ، والحكم النيابى ، والديمقراطية ، والتصنيع ، والزواج بوحدة فقط ، والمسيحية ، لن تفهم الدور الذى لعبته هذه الأشياء فى الحياة الأمريكية ما لم تتطلع الى ما وراء حدود الولايات المتحدة ، الى أوروبا الغربية وإلى الأقطار الأخرى التى أنشأها الأوربيون الغربيون فيما وراء البحار ، وما لم تذهب الى ما وراء نشأتها المحلية ، الى تاريخ أوروبا الغربية فى القرون الغابرة ، قبل أن يعبر كولومبوس أو كابوت المحيط . ولكنك اذ تريد فهم التاريخ الأمريكى والأنظمة الأمريكية لأغراض عملية لاحتجاج الى تخطى أوروبا الغربية والتطلع الى أوروبا الشرقية أو العالم الإسلامى ، ولست بحاجة الى الذهاب الى ما وراء نشأة مدينتنا فى أوروبا الغربية ، الى تدهور المدنية الاغريقية الرومانية وسقوطها . ان هذه الحدود الزمانية والمكانية تعطينا وحدة مفهومة للحياة الاجتماعية ، وحدة تعتبر الولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى أو فرنسا أو هولندا جزءاً منها : اسمها المسيحية الغربية ، المدنية الغربية ، المجتمع الغربى ، العالم الغربى . وبالتل ، اذا بدأت باليونان أو الصرب أو روسيا وحاولت فهم تاريخها فانك تصل الى مسيحية أورتوكسية أو عالم بيزنطى . واذا بدأت بمراكش أو أفغانستان وحاولت فهم تاريخهما ، فانك تصل الى عالم مسلم . ولبدأ بالبنغال أو ميسور أو راجبوتانا فستجد عالماً هندوكياً . وابدأ بالصين أو اليابان ، وستجد عالم الشرق الأقصى .

وبالرغم من أن الدولة التى يتصادف أن تكون من رعاياها تطالب بولائنا بصورة استبدادية مدمومة ، وبخاصة فى العصر الحديث ، إلا أن المدنية التى نحظى بعضويتها تؤثر فى حياتنا أكثر مما تؤثر الدولة . وفى أغلب مراحل التاريخ نجد أن هذه المدنية التى نحن أعضاء فيها تحتضن مواطنى دول أخرى الى جانبنا . ان هذه المدنية أقدم من دولتنا .

تبقى أشياء مشرقة قالها أرنولد توينبى عنا ، أشياء أخرى بالانمافة الى دفاعه عن عرب فلسطين أمام سفير إسرائيل ، ان توينبى فى مقامه ولقاءات بين المدنيات ، يتكهن لنا ، وللقارة الآسيوية ، وأمريكا اللاتينية ، بنور كبير ضخم

في المستقبل - وبهذا الدور سنؤثر على الغرب ونجعله يعتقد
بعض اتجاهاتنا ويطبقها في حياته .

يرى توينبي أن المدنية الغربية تؤثر في القرن الحالى
على المدنيات الأخرى وتطبعها بطابعها ، ولكنه يؤمن بأن
الدورات التاريخية أثبتت دائما أن الطرف الخاضع للتأثير
يظل ينمو ويتطور الى أن يحين الوقت الذى يقوم هو فيه
بدور المؤثر ، ويتنقم من الطرف الآخر ، وينعكس الميزان .

ويضرب لذلك مثلا من الماضى . كان من نتيجة فتوحات
الاسكندر الأكبر والرومان أن أرسلت المدنية الاغريقية
الرومانية أشعتها عبر معظم أجزاء العالم القديم . وتغلغلت
هذه الألسنة الى الهند وإلى الجزر البريطانية ، بل وصلت الى
الصين ودول اسكتلندا . ومضت الأيام ، وإذا بهجوم مسلم
مضاد يوجه ضد هذا العالم الاغريقى الرومانى . انه هجوم
سلمى ووحى لم يضرب ويفز المقاطعات وانما القلوب
والعقول . وتم هذا على يد المبشرين بالديانات الجديدة التى
ظهرت فى العوالم الأخرى الخاضعة لتأثير الاغريق والرومان
ويقول توينبي ان الديانات الكبرى الأربع : المسيحية والاسلام
والهندوكية والماهايانا (شكل من البوذية فى الشرق
الاقصى) ظهرت كرد فعل للتغلغل الاغريقى الرومانى
الحضارى .

ويجعله هذا يتكهن بمصير المدنية الغربية فى
المستقبل .

« وفى عام ٣٠٤٧ ميلادية قد تكون مدنتنا الغربية كما
عرفناها وعرفها أسلافنا الغربيون فى الألف ومائتى العام
أو ثلثمائة العام الأخيرة منذ خروجها من المصور المظلمة ،
قد تكون تحولت الى صورة غير معهودة تماما ، وذلك بفعل
مؤثرات مضادة تقض من عوالم اجنبية نحاول نحن اليوم اخضاعها
لؤثراتنا ، مستشع المؤثرات الجديدة من المسيحية والارثوذكسية
ومن الاسلام ومن الهندوكية ، من الشرق الأقصى » .

ويضيف قائلا : ان مدنيات الهند والصين - وهى مدنيات
خسبة - سترد على التحدى الغربى ، وانه يحتمل أن تحدث
الهند والصين فى حياة الغرب مؤثرات عميقة ، بل ويتكهن

بدور كبير في المستقبل للمكسيك ، وبيرو ، وبوليفيا ،
والاكواдор ، وكولومبيا .

هذه لمحات خاطفة حاولنا أن نعرض فيها لبعض جوانب
هذه الشخصية الفذة التي امتازت بفردتها في التفكير ، ذلك
الفرد الذي جعل صاحبها يقوم بمهمة كتاب ضخمة وحده لانه
يعبر فيه عن وجهة نظره .

تحية للمؤرخ الكبير الذي استرعى الأنظار الى مشكلتنا
فقال في كتاب « من الشرق الى الغرب » ، متحددا عن قطاع
غزة :

« واذا كان تسعمائة ألف لاجئ فلسطيني قنبلة ، فان
مائتي ألف الذين يملكون في قطاع غزة هم قنبلة هذه
القنبلة المتفجرة . هنا يكمن الخطر الذي يتهدد أمن العالم ،
والذي يتحدى أيضا ضميره . ولا يمكن حل هذه المشكلة
البشرية الملحة دون توضيحات مؤهلة من جانب جميع الأطراف
المنية : اسرائيل ، والدول العربية ، واللاجئين انفسهم . ومن
واجب العالم أن يصر على التفاوض من أجل الوصول الى حل
وأن يدفع بسنخه لكي يذلل عقباته . واذا استعرضنا أهم
العالم جميعا وجدنا أن العصب الأكبر من المسئولية يقع على
عائق بريطانيا العظمى والولايات المتحدة . وفي هذه النقطة
على الأقل لا نستطيع أن نكذب حجج العرب » .

محمد عبد الله الشافعي

الانسان .. والجيل المجرم *

لنفترض أن جيلنا لن يصلي الجنس البشرى ، وللتصور أن أحفادنا بعد ثلاثة أو أربعة أجيال من الآن ، قد أقاموا معرضا باسم « الجيل المجرم » نعم ، مما لاشك فيه أنهم سيسموننا : الجيل المجرم ، ان هذا المعرض الذى ألقوه الآن سيسخر منا ، وسيعبر به أحفادنا عن حقهم المستمر .

والى معرض المستقبل هذا يصطدمنا طرى بمطبة تضم ثلاثة معروضات من مطبوعات جيلنا ، أحد هذه المعروضات عبارة عن صحيفة مصانية تصدر فى لندن ولا تحوى شيئا سوى « مجرد دردشة » . ثانيا المعروضات عبارة عن كتاب يتحدث فيه أحد الخبراء الفنيين الأمريكيين عن الحرب الذرية ، وفيه يناقش المؤلف القضية التالية : هل ستبلغ خسائر أمريكا عند الضربة الأولى ١٦٠ مليوناً أو ٦٠ مليوناً فقط ؟ أما الكتاب الثالث الموجود فى هذه العتبة فمن تأليف لورد راسل وهو موضوع مقالى الحالى . وعندما تقع عيون رواد المعرض على ثالث المعروضات فإن كتابة مضاعفهم ستخف قليلا على ما اعتقد . وقد يقولون مهما يكن الامر فإن ذلك الجيل المجرم كان أفضل نوعا عن سودوم وعموره ، لقد أنجب رجلا واحدا نزيها على الأقل ، هاكم رجلا من ذلك الجيل ، رجلا اهتم أشد الاهتمام ببقاء النوع الانسانى ولم يهرب الى السلبية بحجة الشيخوخة .

والواقع أن اللحن الامامى فى هذا الكتاب الذى ألفه لورد راسل هو ذلك الاهتمام - المخلص الحى - بالمحافظة على الجنس البشرى ، وهو عليل فى انتقاده الشديد لشرور الانسان وغبائه (ولقد عهدنا راسل عنيقا على الدوام) . وأى هدف يستحق مهامه أنسب من المملك الحالى الذى تسلكه الدول النووية ؟ غير أن غضبه الهائل لم يجعله يتسقط

* فى هذا المقال يستعرض آرثولد توينى الكتاب الذى نشره سلسلة «بنجوين» للبلسوف برتراند راسل . وقد ظهر الكتاب تحت عنوان « حل للانسان مستقبل ؟ See Man A Future? » . اما مقال توينى المظهرى «أوبزولر» الاحد منذ ٢٦.

من نوفمبر ١٩٦١ .

حفوات البشر بحقد ، أو يبدى نحوهم مشاعر انكراهية • ذلك أنه يدرك جيداً أن الجنس البشرى لا يزال يعيش طفولته ، وأنه إذا سمح جيلنا ببقاء هذا الجنس البشرى فإنه سيعيش ضعف الحياة التي عاشها إلى الآن . مئات المرات •

وإذا كان لورد راسل يحفظ الجرائم والحماقات التي ارتكبتها الجنس البشرى في الماضي والحاضر ، فإن هذا لا يجعله يتفاضى عن المسكاسب الروحية والفكرية التي حققها أفضل من يمثلون النوع البشرى • وهو يرى في هذه المسكاسب تشوهاً إلى مستقبل الإنسان ، وما يمكن أن يكون عليه هذا المستقبل • ولورد راسل متفائل بالنسبة لافتراض القائل بأن أمام الإنسان مستقبلاً ، وربما كانت لفظة متفائل مفرقة في البلية ، ذلك أن لورد راسل يسهم بحماس كبير في عظمة جنسنا وسعادته ، العظمة والسعادة اللتين قد تتحققا في المستقبل • إنه دائم الاهتمام بما قد يحدث بعد أن تنتهي حياة جيلنا بضرورة طوال •

ويصعب حتى راسل على الخطأ الكبير الذي ترتكبه الدول النووية الحالية ، حين لا تحترم القوة التي وضعها العلم في أيديها ، وهي قوة لم يسبق لها مثيل ، وحتى إذا كان يقنن الزعماء السياسيين - في هذه الدول - أن يقتنوا أخوانهم المواطنين بارتكاب الانتحار الجماعي ، فمن المؤكد أنهم ينافسون طبيعة الأشياء ويخرجون على القانون ، استعداداً للعمال التي سيذبحون فيها الأطفال وهم بين أذرع أمهاتهم ، وسيتركون نعمة الحياة على أطفال لم يولدوا بعد ، وجنّيز بالذكراؤ عدد أفراد الأجيال القادمة أكبر بكثير من عدد الأفراد الذين ظهروا حتى اليوم •

ولورد راسل لا يسمح باستخدام علماء النواة مغلب قط • وهو يورد من الأدلة ما يبين كيف أن نفراً من أكبر علماء النواة بادروا - منذ اللحظة التي ظهرت فيها أول قنبلة ذرية - لنبهوا الحكومات إلى النتائج التي قد تنخفض عن الحرب النووية • وأهاب العلماء برجال السياسة أن يلغوا القنبلة الذرية ، وأن يؤكّدوا هذا الإلغاء بإلغاء الحرب نفسها • وإذا كانت هذه الانتصارات لم تجد الأذن الصاغية فليس هذا ذنب العلماء • فهؤلاء العلماء قلّة في العدد ، وهم ليسوا منظمين داخل جهاز يقدمون من خلاله على إجراء سياسى • ولورد راسل محق حين يلقي عبء المسؤولية - في النهاية - على عاتق مواطنى هذه الدول النووية • وإذا كان كل أثنى مسئول - إلى حد ما - عما فعله هتلر ، فإن كل مواطن من الولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة ، والاتحاد السوفييتى ، مسئول - إلى حد ما - من الخطر الراهن الذي ينفذ الجنس البشرى بالفناء •

ومن بين الخسائس الجليلة التي أدامها لورد واسل في هذا الكتاب أنه جعلنا ندرك بجلالة ذلك التناقض بين جسامته الاخطار التي تسببها فيها ، وثقافة المصالح القومية التي تتصارع من أجلها - مصالح ستفنى مع فناء كل شيء آخر ، وذلك إذا تمت تصفية الجنس البشرى . وهو يبحث عن الجنود النفسية لهذا الجنون ، فيجدها في رعونتنا . اننا نفضل اجراء ينهى حياة البشر على استسلام لارادة عدونا .

ترى ، هل هذه الرغبة في الحرب باى نمى سمة مركبة في النفسية البشرية ؟ هنا نجد أن لورد واسل متفائل أيضا ، وليس من شك في أنه محق في هذا التفاؤل . انه يؤمن بأن رغبتنا في القتال ترسبت من عادة اكتسبناها خلال عصور كان الجنس البشرى يقاتل فيها أقرانه من الوحوش كي يكتب له البقاء . وإذا أصبح الجنس البشرى سيد هذه الوحوش أخذ يشبع عادة القتال في حرب يعارب فيها الاخ أخاه . انها عادة قديمة ، وشريرة . بيد أن من الممكن تغيير العادة إذا صمم المرء على بذل المجهود الاخلاقي المطلوب . وان جعلنا ليدرك أن علينا ، في عصر الذرة ، أن نشفى أنفسنا من عادة شن الحرب إذا أردنا إبقاء الجنس البشرى . أما الشيء الغريب لدينا ، الشيء الذي يسوء إلينا أبلغ إساءة ، فهو اننا لا زلنا نسمح لأنفسنا بأن نفكر ونحس ونصرف بالأسلوب القديم نفسه ، نفعل هذا بعد انصرام ستة عشر عاما على القاء القنابل الذرية على هيروشيما ونجازاكي .

ويقترح لورد واسل انشاء حكومة عالمية لها سلطة فعالة ، سلطة تجعل الحرب مستحيلة في المستقبل بيد أن أى مشروع لمستور عالمي قد يبدو أكثر جبالا من الواقع - هذا اذا نجحنا فعلا في انشاء حكومة عالمية بصورة من الصور . ذلك اننا جد متشبهين بالسيادة القومية ، لذا سنبتذل أقل جهد في هذا السبيل ، سنبتذل هذا الجهد المحدود بالتقسيت ، ولن نبذله الا في آخر لحظة . ومع هذا فمن الصعب تحقيق هذا القدر المتواضع .

وهنا نجد أن الأمن نقطة يعرضها لورد واسل قد يكون ذات طابع سلبي وهو يصر على أن من ألعبت اقتراح أية ترتيبات من شأنها تغيير ميزان القوى الحالي ، وعلى هذا الاساس وحده قد تتاح فرصة قبول أية مقترحات عن طريق الجانبين .

ومن أضيق المهام ، في هذا العالم ، أن تجعل الناس يهتمون بشيء على جانب كبير من الأهمية ، شيء يعرفونه لكنهم يفضلون نسياله . وإذا

كان هناك شيء يمكن أن يحرك الأمم النووية فإن كتيب رأسل قد يكون هذا الشيء . والشئ الذي يدفعه القارئ لى شراء النسخة التي طبعها ينجوين يمكن أن يتجمع بالامتناع عن شراء صحيفة مسائية لمدة أسبوع واحد .

ومن بين الثلاث أهم التي تملك النواة تتكلم افنتان الانجليزية ، لذا يقتضى الامر وجود ترجمة رومانية حتى تكتمل المهمة . فاذا امكن شحن كميات من هذه الترجمة الرسمية على متن طائرة أمريكية والقاء هذه الصفحة على الارض السوفيتية ، فانن قد أجد نفس أجيد فكرة القتحام الاناثرات الامريكية للمضاء الروسى مرة أخرى !

قطاع غزة (*)

عندما دلغنا الى الطائرة التي ستقلنا من بيروت الى غزة كنا أمام نموذج لحكومة المستقبل العالمية . فقد تألف زملاؤنا في الرحلة من كولومبيي نيوزيلندي يمثل لجنة الهدنة في قطاع غزة ، وضابط هندي ، وجنديين برازيليين من قوة الطوارئ الدولية عائدتين من أجازتهما في لبنان ، أما جميع المدنيين الموجودين بالطائرة باستثنائنا (يقصد هو وزوجته) فكانوا موظفين في وكالة التوث والعمل التابعة للأمم المتحدة .

ربينا نحن نبتعد عن الشاطئ طائرين جنوبا ، لم نستطع أن نأصفر عيني عن اللوحة المريضة التي أخلت تتكشف . صيدا رصور : لقد رأيتهما وأنا على الأرض ، ولكن هاهو مسلم صوره انه نهاية خط الهدنة - من ناحية البحر - بين لبنان واسرائيل ، وكل ما وراء هذا الرأس جديد بالنسبة لنا . عكا ، جبل كازمل : ما أروع أن تبصرها لأول مرة ، وبعد ذلك تتوالى رقع من الهضاب الرملية بلونها الاصفر الفاتح ، وبيسارات البرقال بلونها الاخضر الداكن ، لابد أن هذه المنطقة المرتفعة المرتفعة الضخمة هي تل أبيب ويافا ، ثم هاتين الآن لغير اتجاهنا ناحية الجنوب الشرقي ، عبر الساحل . ولعمري من تحت الجناحين الهائطين مدينة غاصة بالاكواخ شمالا وشرقا وجنوبا . لابد أنها غزة ، بغاجها المصنوع من الشوك ، من خيام اللاجئين . هاتين تلمس الأرض وتتأهب للموقف ويقولون لي انه بعد نهاية المر بياردات قلائل يرقد الحط الفاحش بين القطاع واسرائيل . ذاك المنزل وذاك الحصان ، القائمين هناك ، موجودان في أرض اسرائيلية .

ربينا كانت عيناى تشربان اللوحة كان للبي يجلب من أدرجه بعض الاشياء التي كانت تثيرها هذه المنطقة التي جئت لزيارتها . غزة ،

✽ الصفحة رقم ٦٩ من كتاب « من الشرق الى الغرب . رحلة حول العالم » East West. A Journey Round the World وكان قطاع غزة من بين الاماكن التي امسح للكتاب وبارها . وظهر الكتاب لأول مرة عامي ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ .

لاجئون فلسطينيون: ألم يكن الفلسطينيون لاجئين قطوا رحلتهم بالقوارب والهربات التي تجرها الثيران قادمين من جزر بحر ايجه الى دلتا النيل ثم استقروا في القطاع بعد طردهم من مصر ؟ ألم تكن غزة أقصى مدينة جنوبية بين المدن الفلسطينية الخمس ؟ من المؤكد أن مواقع المدن الأربع الأخرى موجودة اليوم في إسرائيل . غزة : في هذا المكان جلب شمسون أعمدة المسرح - مرحبا بالموث ، مادام هذا مبيح على أعدائه الفلسطينيين وفي هذا المكان أقسم القديس بوزفريوس ، ذلك المسيحي المقدوني المتعصب ، على تدمير معبد الهنا ، إله غزة وراعياها ، بعد أن جذب الأسلاك اللازمة في القصر الإمبراطوري بالقسطنطينية . أنها أحداث مشنومة في تاريخ غزة المحلي ، إذ أن هناك في قطاع غزة اليوم كثيرين من المتعصبين وكثيرين من الأسرى . وأعصابهم متوترة للغاية ، ولا يستطيعون أن يقسموا على إجراء تدمير يائس ، إجراء لن يحطم معبدا أو مسرحا واحدا ، وإنما يجعل صرح المدنية كلها ينهار محدثا دوبا في آذان الجلس البشري . وأحاول أن أسرى عن نفسي ، فأترك التفكير في غزة الى التفكير في رفح ، وأذكر تلك الحركة التي دارت هناك عام ٢١٧ قبل الميلاد ، وفيها التقت الأفيال الهندية والأفيال الأفريقية لأول وآخر مرة في التاريخ . (كسبت الأفيال الهندية الحركة . كانت الأفيال الأفريقية أكبر حجما ، ولسكنها كانت أقل حظا من الهندية من ناحية التدريب وحسن القيادة) .

وأقصى طول للقطاع ، من رفح الى غزة ، هو خمسة وعشرون ميلا . ويعتدد عرضه من ثلاثة أميال ، عند الطرف الشمالي ، الى خمسة أميال . وعلى طول الشاطئ تقريبا حزام من الهضبات الرملية ، واذ يتجه المسافر جنوبا داخل الأراضي ، يتحول المنظر الى صحراء ، ووراء غزة نفسها مساحات من الحقول الخضراء وبيارات البرتقال ، تحف بها أسوار ضخمة من شجيرات دائمة الخضرة ، شجيرات جروينا أو شيء من هذا القبيل . غير أن الطريق المتجه جنوبا يصل الى نقطة يتحول فيها هذا كله الى أسوار من التين الشوكي ، وحيث تتبدى رجال الصحراء من خلال الفجوات . وقبل كارثة ١٩٤٨ كان عدد سكان القطاع ٩٠٠٠٠ نسمة تقريبا ، غير أنهم بلغوا اليوم حوالي ١٠٠٠٠٠ نسمة . بينما يبلغ عدد اللاجئين في القطاع ضعف هذا العدد . والسكان الدائمون يمانون شطط النيس الآن ، ذلك أن شطرا من أفضل أراضيهم موجود في الجانب الإسرائيلي لخط الهدنة . غير أن لديهم على الأقل مايميشون منه ، وما يارسونه . أما اللاجئون فليس أمامهم سوى التفكير مليا في الظلم الذي وقع عليهم . لقد أساء الألمان الى اليهود ، غير أن العرب ، لا الألمان ، هم الذين دفعوا

شمن الأخطاء التي ارتكبتها الألمان . وتم هذا على يد البريطانيين والأمريكيين الذين انتصروا على الألمان الأعداء ، ويبدو هذا ، في أعين العرب ، مؤامرة خبثها أمم الغرب للقضاء على شعور العرب بالذنب تجاه اليهود ، وذلك بتعويض اليهود على حساب العرب . ويتمثل رد الفعل ، في قلوب اللاجئين ، في الإصرار بمتماد على رفع الظلم الواقع عليهم . . . يجب إعادتهم إلى أراضيهم وحقوقهم في ظل حكم غير إسرائيل ، فما الذي سيحدث لليهود الذين استوطنوا الأرض العربية التي أخلفت عنة ، وبدون شمن ، منذ عام ١٩٤٨ ؟ ويرد العرب : « لقد خلقت إنجلترا وأمريكا هذه المشكلة ، وعليهما أن يجدا الحل » . وهو رد منطقي ، لكنه غير بناء .

وفي داخل كل معسكر يحتفظ اللاجئون بتنظيمهم القروي السابق إذ تخطب كل قرية لزعماء رئيسها « المختار » . وما زال لدى هؤلاء الرؤساء القدرة على تشكيل اتجاهات السكان ، وهم يميلون إلى تشكيل اتجاهات عنيفة ، فهم الذين عانوا - أكثر من غيرهم - تحول المسير . وبعضهم يملك أربعمائة أو خمسمائة فدان تقريبا من الأرض المزروعة إلى جانب أشجار الفاكهة ، وكل ذلك موجود في الجانب الآخر من خط الهدنة ولكنهم يعيشون اليوم على الصدقة . لا حفر من أن يستثمروا مائة ، وفي ظل الظروف الحالية لا تنقيد عواطفهم بالمسؤوليات التي كانت ملقاة في يوم من الأيام على عاتقهم ، قبل أن يفقدوا بيوتهم . أما اليوم فإن مسؤولية أطعام اللاجئين ، وإبرائهم ، وكسوتهم ، ورعايتهم طبيا ، وتعليمهم ، تقع على عاتق وكالة الغوث والعمل وعلى عاتق العاملين فيها .

إن هذه الوكالة التابعة للأمم المتحدة تقوم بمهمة جليلة في ظل متاعب مستمرة ، متاعب مالية ، وسياسية ، ونفسية . وميزانيتها لا تؤخذ من اعتمادات الأمم المتحدة العامة ، وإنما من الأنصبة التي تدفعها بعض الدول الأعضاء (تدفع الولايات المتحدة نصيب الأسد ، تعقبها بريطانيا مباشرة ، وذلك إجراء عادل) . أما الخطوات التي تتخذها وكالة الغوث والعمل لإعادة توطين اللاجئين في أماكن أخرى غير موطنهم الأصلي فتلقى معارضة من حكومات الدول العربية التي يمسك اللاجئون في أراضيها (تقوم الحكومة المصرية بادارة قطاع غزة) . كما أن هناك معارضة من جانب اللاجئين أنفسهم . انهم يشعرون أن الرضوخ لهذا الاستيطان الجديد منسأ انهم نيدوا حقهم في العودة إلى وطنهم . وقد تقول لهم : إن ألمانيا الغربية استوعبت لاجئي ألمانيا الشرقية داخل كيائها الاقتصادي - وحصلت الرخاء والقوة بهذا الإجراء - دون أن تتخلى عن حقها في الأراضي الألمانية التي استولت عليها بولندا والاتحاد السوفييتي غير أن هذا المثال

— الذى يبدو مناسباً — لايقنع العقول العربية كثيراً . انهم يرون أن الاحتفاظ بحقهم يقتضى منهم أن يرفضوا اقتراحات الاستيطان باستمرار .

ولو كالة الفوت والصلل ميزايتان : احداها لسد رمق اللاجئيه والاخرى لتاهيلهم ، ولقد بلغ من ضآلة حجم الميزانية الاولى انها لاتغطي اللاجئيين اكثر من حوالى ١٥٠٠ سمرا حراريا من الطعام فى الصيف ، ١٦٠٠ سمرا حراريا فى الشتاء ، أما استغلال ميزانية التاهيل فيتعرض للمعارضة السياسية من جانب الحكومات العربية . غير أن الوكالة تبلى بلاء حسنا فى ظل هذا الموقف المحير . ان أنصبة الطعام قد لاتكون متناسبة غير انها توزع بكفاية وعدالة ، كما أن هناك قائمة اضافية للأطفال والمجزة والمرضى ، وتمثل وجبة ساخنة تقدم لهم فى منتصف النهار . اما الخدمات الصحية فتمتازة (وجدير بالذكر أن الجهود الخاصة برعاية الامومة تسترعى النظر) . ويتم تعويض الامهات على احضار الاطفال الىعيادة المعسكر بمجرد ظهور أية بوادر شكوى ، أما الاعتماد الخاص بالتاهيل — والذى لا يمكن استخدامه فى إعادة التوطين — فيستغل فى التعليم . ومستوى تعليم اللاجئيين ، شأنه فى ذلك شأن الرعاية الصحية ، قد يكون اليوم ارفع مما كان قبل تشريدهم ، ويحتمل ألا تكون هناك مجتمعات عربية كثيرة تنعم بهذه النسبة المرتفعة من فتيات المدارس ، والفصل فى هذه الاجراءات يرجع الى وكالة الفوت والصلل ، ولكن ما نهاية ذلك كله ؟ ان عدد السكان اللاجئيين يتزايد بسرعة وان أعدادا كبيرة منهم تعلم لى شيء ؟ ما الذى يتطلعون اليه عندما ينتهى تعليمهم وخاصة الاقلية القادرة التى دخلت المدارس الثانوية ؟ ربما كان أكبر جهاز مشجع فى القطاع هو مركز التدريب المهنى التابع للوكالة ، ويبدو أن امام الفئتين ، حتى اللاجئيين منهم فرص العمل الدائم . ولكن أين هؤلاء من الكثرة الغالبة ؟ .

وإذا كان تسعائة الف لاجيء فلسطينى قنبلة ، فان مائتى الالف الذين يدرون فى قطاع غزة هم رأس هذه القنبلة المتفجير . هنا يكمن الخطر الذى يهدد أمن العالم ، والذى يتحدى أيضاً ضميره ، ولا يمكن حل هذه المعضلة البشرية الملحة دون تضحيات مؤلمة من جانب كافة جميع الاطراف المعنية : اسرائيل والدول العربية واللاجئيين انفسهم . ومن واجبه العالم أن يصير على التفاوض من أجل الوصول الى حل ، فتن يدفع بسخطه من أجل تخفيف حدة مشاقه . وكذا استمرضنا أهم العالم كلها وجددنا أن الصبء الأكبر من المسئولية يقع على عاتق بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، وفى هذه النقطة على الأقل ، لاستطيع أن نكذب جميع العرب .

مع أرنولد توينبى (٢)



إن مجال هذا الرجل هو مدنيات العالم ، قديمها وحديثها ، وفترته الزمنية هي خمسة آلاف قرن من التاريخ المدون ، أما إنتاج حياته اللهي فيشمل عشرة أجزاء يتألف منها كتابه «دراسة للتاريخ A Study of History» وقد قيلت في هذا السفر عبارات تصفه بأنه «رائعة خالقة» و « نقطة تحول في التاريخ نفسه » .

وكان ضيف المستر توينبى ، في عام ١٩٥٥ ، هو كريستوفر رايت Christopher Wright الزميل بجامعة هارفارد . وكان المستر توينبى قد بلغ في هذه الآونة التاسعة والسبعين من عمره . ولكن ، كانت هناك مشروعات للكتب أخرى في ذهنه ، وهو يذكرها هنا في خاتمة حديثه .

أرنولد توينبى : إنه لأمر غريب ، كما تعلم ، ذلك الأمر الذي يتصل بجلود المرء . أنني أعرف جيدا أن جلودي هنا في لندن ، وربما كان السبب في ذلك أنني وأنا طفل نشأت هنا ، وكنت صغيرا جدا ، ونحن لا نستطيع أن ننفق وقتا طويلا في الانتقال إلى الريف ، ولذا كان علينا أن نوجد الريف في المدينة ، وهذه إحدى مميزات لندن ، فأنت هنا تجد الريف أيضا . وعندما أرفع رأسي عن كتبي ، وأنا جالس إلى مكتبي هنا ، تستقر عيناى دائما على خضرة تلك الشجرة ، وذلك البرعم الراقدة هناك في حديثي . لمست أقصد من وراء هذا بالطبع أنني لأحب الأماكن الريفية . ربما كنت أحب مكانا في يوركشاير أكثر من حبي للندن . وهناك مناطق في إيطاليا واليونان أحبها جدا ، غير أن لندن — في بعض الأحيان — هي المكان الذي أضطر إلى أداء معظم عملى فيه ، هذا ما اكتشفته دائما .

أذيع هذا الحديث على شاشة التلفزيون الأمريكى في حينه ، ثم نقرأ — بعد امداده للطبع — في كتاب « الحكمة » Wisdom الذى يضم أحداث أخرى مع حكماء العصر الحديث من فلاسفة ، وساسة ، وفنانين ، ورجال دين .

كريستوفر وايت : اذن فقد ألفت الشطر الأكبر من «دراسة للتاريخ»
هنا ، اليس كذلك ؟

تويشبي : الواقع ، أننى منذ الحرب كتبت أربعة أجزاء هنا ، فى حلاء
الحجرة بلندن - معظم الأجزاء الأربعة على الأقل - وكتبت شيئا فى
برنستون ، ونيوجيرسى ، وشطرا لأبأس به وأنا فى المحيط جيتة وزهايا
أما الأجزاء الستة الأخرى فقد كتبت معظمها فى يوركشاير التى كنت
أصعدت عنها الآن .

وايت : ماهو الزمن الذى استغرقه تأليف الأجزاء كلها ؟

تويشبي : لقد استغرقت سبعة وعشرين عاما يستثنى منها بالطبع
سبعة أعوام التهمتها الحرب العالمية الثانية ، ومن الطريف أن أذكر أننى
عندما دونت كل مالى من نقاط طلعت أننى أستطيع كتابتها فى صيفين
ولكنها استغرقت منى سبعة وعشرين عاما .

وايت : كثيرا ما تساءلت فى دهشة : كيف تسنى لك أن تبدأ فى
مثل هذا المشروع ؟

تويشبي : أعتقد أن الجواب موجود فى الواقع عند أمى . ليس معنى
هذا أنها اقترحت الموضوع . لقد كانت هى الأخرى مؤرخة ، ولقد نشأت
وأنا أفترض أنى سأغدو بنورى مؤرخا بسببها . هك صورتها ، إنها
على مكتبى دائما ، تبدو جد شابة . لقد كانت فى أحد الفصول اللسائية
التي سبقت غيرها فى تلقى دراسات جامعية بجامعة كمبريدج بإنجلترا .
وعندما كنت صغيرا ، وعندما كانت توسدننى فراشى ليلا اعتادت أن تحكى
لى تاريخ إنجلترا فى حلقات ، إلى أن انتهينا منه تماما خلال عام تقريبا .

وايت : يخيلى إلى أننى أذكر إشاوتك أيضا إلى أفراد آخرين فى
أسرتك ، بعض الأخوال ، اليس كذلك ؟

تويشبي : حسن ، نعم ، هذا صحيح . كان هناك مثلا خالى الكبير
هارى الذى كان يعمل قبطانا ، لم يبحر أبدا فى باخرة ، وإنما كان يركب
على الدوام إحدى هذه السفن ذات الأشرعة الثلاثة ، ولقد وضع العالم
فى خريطة أعدما لى - رأس الرجاء الصالح والهند وكل محيطات العالم .
ما أبعد حلاء الطريقة عن طريقة خالى باجيت ، الذى كان أستاذنا مدققا .
أذكر أنه أرسل فى طلبى وأنا فى السادسة عشرة من عمري ، وذكر لى أن
من واجبى أن أخصص ، وقررت ، على الفور ، أننى بسبيل ذلك . ويخيلى
للى أن اسم الأسرة مشهور بسبب خالى أرفولد ، الذى أخذت عنه اسمه .

حات صغيرا ، وهو في حوالى الثلاثين من عمره ، وكانت وقاعة توليبي
أول مقر في لندن ينشأ تخليدا لذكراه .

وايت : ازاء كل هذا التنوع في اطارك الاسرى يهنا أن نعرف من
الذى أثر عليك أكثر من غيره . كيف أصبحت مؤرخا ؟ اعتقد أن ذلك
مرجعه ، دون شك ، الى والدتك - أليس كذلك ؟

توليبي : اننى على يقين من أن والدتى هى السبب . وفى مرحلة
من المراحل كانت مدرستى تطفى على هذا التأثير . لقد التحقت بمدرسة
عتيقة جدا ، مدرسة وينشستر ، التى تأسست فى نهاية القرن الرابع
عشر .

وكانت دراستهم آن ذاك ، كلاسيكية ، من القرن السادس عشر ،
مع ادخال تجديدات عليها . ولأعتنى هذه الدراسة . كانت هناك ترجمة
للفقرات الانجليزية ، الى اللاتينية واليونانية ، والشئ المدهش أن الدراسة
التي كانت تبدو محدودة الأفق أدت الى توسيع مداركى . . اليك امرسون -
كان أستاذى يمتد أن امرسون هو أصلى كاتب يمكن أن نترجمه الى نثر
اليونان الاغلاطونى ! وجعلنى هذا أعرف امرسون .

وايت : تلك فكرة طريفة - أن تطفى تربية محدودة متخصصة ، فى
مظهرها ، الى عديد من الاهتمامات .

توليبي : نعم ، انها تفعل ذلك . اننى أفكر الآن فى هيرودوت .
عللنا كنت بالمدرسة كان على أن أترجم كمية رهيبه من كتابات هيرودوت
اليونانية الى الانجليزية . كان هيرودوت مؤرخا يونانيا قديما يكتب فى
القرن الخامس قبل الميلاد ، غير انه أصبح بالنسبة لى نسخة ثانية من خالى
حارى - اذ فتح لى رقعة شاسعة من آسيا . آه . . لقد بلغ من شغفى
بقراءة هيرودوت وأنا بهذه المدرسة اننى أعددت كتابا مصورا ، صبيانيا ،
وكتبت مقالة وزيتها بالرسوم أيضا ، تماما مثلما كان يفعل هيرودوت .

وايت : أما زال هذا الكتاب المصور فى حوزتك ؟

توليبي : نعم ، انه عدى . الواقع انه ورائى الآن تماما .

وايت : لعل تسمح لى بتصفحه ؟ اننى أود ذلك .

توليبي : تستطيع بكل تأكيد . هاك الكتاب ، نحن الآن فى عام
١٩٠٣ . لابد اننى كنت لى الرابعة عشرة من عمرى حين كتبتة - هاهم
سرس أجيز كسينز Xer Xr .

وايت : جميل جدا . كل هذا وانت في الرابعة عشرة من عمرك ؟

تويشي : نعم . انه لامر طريف ولكنك اذا تصفحت الجزء السابع من «دراسة للتاريخ» فستجد مقالا عن جيفس اجزييركسين ، هذا الملال اعداد للمقالة الصبيانية التي تراها هنا مع استبعاد الرسوم . لم يكن بتقودهم ان يمينوا طبع الرسوم . هناك كتابا آخر أكثر قنما . لاذكر كم كان عمري عندما فعلت ذلك ، ربما كنت في السابعة آن ذاك .

وايت : غير أن كل الاجسام المرسومة هنا لها رموس حيوانات . لم ذلك ؟

تويشي : آه ، هذا صحيح . آوه . الآن تذكرت - كانت أمي تقرأ لي ، آن ذاك ، في كتاب «الم رموس» Uncle Remus وبهرني «الم رموس» وهكذا استعالت كل الشخصيات ، في هذا البحث بأكمله ، آله شخصيات لها رموس حيوانات - وكلها مأخوذة عن رسوم «الم رموس» .

وايت : اذن فقد عشت في الماضي زمنا كبيرا وانت صبي ؟

تويشي : أعتقد انني فعلت ذلك ، ولكن من الطريف أن الماخو اعداني بعد ذلك الى الحاضر . انني أشير الى رحلتي الاولى الى اليونان . حدث هذا عام ١٩١١ ، قبل نشوب حرب البلقان بعام واحد . ذهبت الى اليونان لا لشيء ، الا لأدرس التاريخ القديم - ولم تكن لدى أدنى فكرة عن العالم الحديث . غير أن هذه الرحلة الى اليونان ، من أجل الفاريخ القديم ، هي التي وضعت العالم الحديث أمامي في وسط اللوحة . وكان هناك على ظهر المركب المبحر الى اليونان ، أمريكي يماثلني في السن ، وكان قد مارس نصف نسيعة من الوظائف المختلفة ، واستطاع أن يدخر من المال مايسكنه من الطواف بالعالم . وأذهلني . كنت أظن انني غير متخصص بالقياس الى خالي باجيت ، غير أنني صرت متخصصا تماما بالقياس الى هذا الأمريكي الفصاح .

واستطيع أن أذكر كيف كنت أطوف باليونان ، وأقضي الليل في قرية يونانية ، وأذهب الى متجر المدينة ، واستمع الى الرجال وهم يتجادلون . أطراف الحديث . كانوا يتكلمون عن شيء اسمه : السيامسة الخارجية للسفر . ادوارد جراي Sir Edward Grey في إنجلترا . غير أنهم كانوا يتحدثون عن هذا ، عن وزير خارجيتي أنا ، ويربطون بينه وبين حرب مستشبهة ، في هذا الربيع أو في الربيع التالي ، حسن ، أدهشني هذا كثيرا . لم أسمع

قط بهذا في إنجلترا . غير أن حديثهم وضع في المسائل الدولية في اللوحة .
الواقع انه كان أول درس في المسائل الدولية ..

وايت : فكيف ساعدك ذلك في عملك ؟

تويشي : يخيل الي أنني لم أكن لاستفيد منه لولا أن الحرب العالمية الأولى نشبت بالفعل ، وكان اليونانيون يعرفون انها ستعشب ، وعندما اندلعت ، ونظرا لأنني طفت باليونان وتركيا قليلا وألمت بشيء عن الشرق الأدنى الحديث ، أخذوني في وزارة الخارجية البريطانية . كنت قد أصبحت بالدوسنطاويا في اليونان ، ولذا لم يكن بمقدوري أن انضم الي الجيش . وعند نهاية الحرب ، استقر بي المقام في وفد وزارة الخارجية إلى مؤتمر السلام بباريس .

وايت : الآن فانت لم تعد بعد ذلك قط الى التاريخ القديم البحت ؟
تويشي : الواقع انني كنت آن ذاك ألق بين الماضي والحاضر ، وخلال الحرب ، وفي طريقى إلى مؤتمر السلام بباريس ، اشتغلت لدى لورد برايس - جيمس برايس James Bryce مؤلف كتاب الكومنولث الامريكى The American Commonwealth كان انموذجا للعالم بالنسبة لي . ها هو مؤرخ كبير ، وفي الوقت نفسه سياسي كبير ، وسفير ، ورجل يلم بأمور الدنيا . لقد مزج بين الماضي والحاضر . لاحظت هذا .

وايت : ارجو ألا أكون منقطعا إذ أذكر أنك ذهبت الى اليونان مرة أخرى ، وعملت مراسلا ، اليس كذلك ؟ مرة أخرى مزيد عن العمل .

تويشي : بذلت محاولة أخرى في ذلك الميدان ، وكانت في الجانب المصري هذه المرة . كانت جامعة لندن قد أنشأت كرسيًا جديدًا لمادة اليونانية الحديثة ، وعينت في هذا المنصب . وقادني هذا إلى آسيا من جديد . وبعد الحرب العالمية الأولى كان اليونانيون والأتراك يخوضون غمار حرب خاصة بهم في آسيا الصغرى ، وأردت أن أرقب هذا الأمر . وكان علي أن أدفع نفقات وحلقت من جيبي الخامس . وهكذا عملت مراسلا لصحيفة «مانشستر جارديان» . وأوقعني هذا في المتاعب ، وحدثت أشياء حمزوية للغاية وقعت في ويطات . وأخرجوني من منصب الاستاذية ، وانتهى بي المقام في «شأتهام هارس» .

وايت : ونظرا لان «شأتهام هارس» معهد للمسائل الدولية لقد جعلك هذا مشغولا بالمرح المعاصر ، اليس كذلك ؟

تويشي : هذا ما حدث - هناك ذلك المسح المنوى للمسائل

المولية ، وقد ظلت أصدره ثلاثين عاما . وهذا يقدرك بالطبع الى الماضي ، عليك أن تتصق الاحداث الراحنة ، ومعنى ذلك : أن تراها داخل إطارها التاريخي . وقد يعود بك هذا الى عشر سنوات مضت أو مائة عام أو مئات ان كل نقطة قد تكون لها صلتها بالموضوع .

وايت : ولكن ، كيف يتسنى لك إصدار هذه الدراسات السنوية — التي تتطلب وحدها مجهودا كبيرا — وتنفذ ، في الوقت نفسه ، ذلك المشروع الخاص بدراسة التاريخ كله .

توبيش : الجواب هو : زمالتى مع زوجتى . فخلال تلك الاعوام الثلاثين كنا ، هي وأنا ، نعد المسح السنوى معا . وما زلنا نعد ، سويا . تاريخا للحرب في السلسلة نفسها . هذا هو جوابى على السؤال ، واعتقد انه كاف للغاية . لقد كانت زمالة كاملة بالنسبة لى .

فانيا : قدر معين من تنظيم المرح الحياته . اذا كان للمرء أن ينجز شيئا فعلية أن يتعلم أنه لا يستطيع انجاز أشياء أخرى . ان الأوتوبيس الذي يقلنا الى منزلنا كل مساء يمر بنا أمام «البرت هول» ، بلندن ، حيث يقيمون حفلات الموسيقى ، وكثيرا ما نشعر بالخجل حين نرى الشباب عائدا من عمله وقد توقف عند «البرت هول» ليستمع الى إحدى الحفلات الموسيقية دون أن يتناول عشاءه — و — حسن ، ونشعر بأننا شخنا ، ولكن ، كل مافى الامر اننا مرهقون جدا . علينا أن نتخلى من الحفصل الموسيقى . انك تتخلى عن الكثير . ولكن عليك أن تفعل ذلك اذا أردت انجاز عملك .

وايت : هذا صحيح . ومع ذلك ، أفلا نستطيع أن نقول ان مؤلفا كمؤلفك «دراسة للتاريخ» كان يمكن أن يعده مجموعة من الكتاب ؟ ماذا اضطرت الى انجازه بأكمله وحده ؟

توبيش : لا اعتقد أن هناك لجنة تستطيع أن تؤلف كتابا . ان هناك أشياء لا حصر لها ما تستطيع اللجنة انجازه . انها تستطيع اوه ، ربما تستطيع أن تحكم بلدا . ولكنى لا اعتقد انها تستطيع تأليف كتاب ، اعتقد أن الكتاب يجب أن يكون وليد عقل واحد . وليس من شك في أنها مهمة شخمة ، ثقيلة ، واعتقد أن الكاتب سيحصل من الآخرين على كل ما يستطيع من عون — اذا كان عاقلا . غير أن المسئولية تقع على عاتقه وحده ، يجب أن ترم مادة الكتاب من خلال عقله . ولكنه يحصل من كل مكان يستطيع الحصول على العون منه .

لقد تعلمت الكثير من هذا المجال من إعدادنا للمسح السنوى

للمسائل الدولية ، ثم طبقته على الكتاب الآخر ، كتاب «دراسة للتاريخ» تعلمت كيف تتعرف على آراء نقادك في كتابك قبل أن تنشره ، قبل أن يهوت أوان التغيير والتعديل بدلا من أن تنتظر حتى ينقدوا كتابك في الصحف ويذهبونه ، لقد طبقت هذا المبدأ كثيرا في أجزاء من الكتاب شعرت فيها اننى لست متبكنا ، أو في هواضع لم أقف فيها على أرض صلبة . وأنا أفكر أيضا في مدى استفادتي من المؤلفات المفصلة التي وضعها ، في الآونة الأخيرة ، لأمورخونا فقط ، وإنما المستشرقون وعلماء الآثار أيضا . وأرى انه لابد من وجود رجل واحد ينجز ذلك كله - ولكنه اذا كان عاقلا فسينشد العون من كل مكان يستطيع أن يجد فيه العون .

وايث : هل تعتقد في إمكانية وجود دراسة واحدة ، معتمدة للتاريخ؟

تويشي : لا ، لا اعتقد ذلك ، لان التاريخ يتحرك دوما . بالأمس ، وأنا أتصفح جريدتي وأتتبع ما يصنمه المستر دالاس والمستر ايدن ، كانت عيني الاخرى تتابع ما يفعله علماء الآثار ، ذلك لانهم كانوا يقبلون تاريخ ألف العام الثاني قبل الميلاد ، يقبلونها رأسا على عقب - لقد اكتشفوا موقعا قديما في الاناضول ، كان التاريخ يتحرك بأسرع مما يتحرك القرن العشرون .

وايث : اذن فانت ترى أن التاريخ تجميع لتجارب الأمم للاستفادة منها اليوم ؟

تويشي : نعم ، والتاريخ الذي لا يستغل ليس شيئا بالمره . ان الحياة الفكرية كلها عبارة عن حركة وعمل ، شأنها شأن الحياة العملية ، واذا لم تستخدم هذه المادة - حسن ، انها ستكون في حكم المادة الميتة .

وايث : يبدو مما تقوله : انك لم تكن بمستطيع تأليف «دراسة للتاريخ» لولا دراستك للمسائل المعاصرة في «شما تهام هاوس» .

تويشي : نعم وعلى كل لأن العصر الوحيد الذي تضع فيه يدك على اناس احياء هو عصرك أنت ، عندما تكون حيا - فاذا حسن ، ربما استطعت اذن أن تحيي الذين عاشوا في عام ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠ قبل الميلاد . ولكذلك اعجزت عن دراسة الاحياء ودراسة طبيعتهم ، اعجزت عن دراسة الجنس البشري في أي عصر كان .

وايث : أفهم أن هناك عنصرا شخصيا في تحليل أي مؤرخ للتاريخ ، ولكن ، لابد من وجود عنصر علمي أيضا - لابد من ظهور أنماط معينة ، ليس كذلك ؟

توبيخى : تلك نقطة يتحس لها الناس كثيرا فى هذه الايام . وهناك كما تعرف ، خلاف كبير حول هذه النقطة . واعتقد اننى اعنى بكلمة (علم) اكتشاف ، وفهم - أوه ، اكتشاف وفهم أنماط متكررة ، موحدة - تتردد - وهو ما يسميه العلماء بـ «القوانين» وبعض المؤرخين ينكرون تماما مثل هذا التكرار والتوحيد فى الأمور الانسانية . وهم يقولون ، كما تعلم : ان التاريخ لا يكرر نفسه . ولكنى متعصب ، الى حد ما ، لهذه النقطة . واعتقد ان التاريخ يكرر نفسه الى حد ما . واعتقد ان فى مقدورك اكتشاف عدد معين من الاشكال الموحدة فى التاريخ القديم .

ولكنى لست حتميا فى الوقت نفسه . ولا اعتقد اننا محرومون من الارادة الحرة . ولا اعتقد ان أنماط الماضى تتكهن بالمستقبل وتحدد شكله . اعتقد ان فى هذه الأنماط عنصرا من عناصر الحرية .

وايت : ترى ما نظريتك فى التاريخ ؟

توبيخى : انه سؤال ضخم . يخيل الى اننى اكتشفت منذ البداية اننى لا أستطيع ان أتناول الأمم كوحداث فى دراستى التاريخية . معظم مؤرخينا يكتبون التاريخ على انه تاريخ أمم . غير اننى وجدت ان الأمم أصغر من أن تتناسب مع الدراسة التاريخية ، وأحسست بأنها شذرات من شيء أضخم ، شيء كان على أن اسمى وراه . وهكذا سميت وراء المدنيات . مثال هذا اننى لم انظر الى الأمور على اعتبار انها مجرد تاريخ أمريكى أو تاريخ فرنسى أو تاريخ إيطالى ، وإنما على أنها تاريخ غربى ، أو تاريخ إفريقى ، أو تاريخ هندى ، وهكذا - وحدات ضخمة حوالى عشرين منها . وشرعت أدرس تشرح هذه الوحدات - أو بمعنى آخر : تاريخ حياتها . وخيل الى اننى وجدت ان عددا منها انهيار وتمزق أربا أربا ، وأن هذه النهاية حلت بها داخل نمط معين . غير ان هذا لم يجعلنى حتميا . لم يجعلنى أؤمن بأن المصير سيحل لا محالة بمدينة مثل مدينتنا ، والتي ما زالت حية . وإنما جعلنى أحس ان هناك تحديا كبيرا لأية مدينة تظهر عليها بوادر الانهيار ، وهو ما تبديه مدينتنا اليوم . ولكنى أؤمن بأن أماننا حرية تقرير مصيرنا .

غير اننى لم أته عند المدنيات ، ذلك لأنك حين تدرس انهيار المدنيات فى الماضى وارتطامها ، الواحدة بالأخرى ، تجد أنك تصل الى منشأ ديانات الصالح الكبرى - المسيحية ، والإسلام ، واليهودية ، والبوذية ، وغير ذلك . ولقد انتهيت ، فى أجزاء الأخيرة بوجه خاص ، الى ان الديانات الكبرى هى الأنماط الكبرى للتاريخ ، وأنه يحتمل ان

تتمكن بالمستقبل . بدأت ، كما قلت ، بالمدينيات باعتبارها مفتاحي الأول الذي أفتح به مغاليق التاريخ - هذا اذا استطاع انسان ان يفتحها ثم عثرت على مفتاح ثان ، واعتقد انه يوصلك الى نقطة أخرى ، هذا المفتاح هو الدبانات الكبرى .

وايت : كيف يصرف انسان الى مدنية او يكتشف سماتها ؟

هل هناك عنصر معين يميز مدنية عن أخرى ؟

تويشبي : كانت نقطة البداية لي على : الوحدات القومية ، وشرعت اتوسع واقول لنفسي ان الوحدات القومية ليست كاملة في حد ذاتها . انت لا تستطيع ان تفهم التاريخ الامريكى من مجرد دراستك لامريكا ، ولكنى اريد ان ارى اصغر الوحدات التى تستطيع ان تفهم منها امريكا ، وقادنى هذا الى ما اسميه بالعالم الغربى - المسيحية الغربية بالذات - ذلك الجزء من العالم الذى لا يبدو ان يكون جزءا صغيرا غير انه اكبر بكثير من أية أمة واحدة . ومع ذلك فهذه الوحدة الاكبر تسير على الأساليب والعادات نفسها ، وتديها بالتقاليد نفسها ، والديانة نفسها ، واسلوب العيش . اقصد انك لا تستطيع ان تفهم التاريخ الامريكى دون ان تعرف شيئا عن أوروبا الغربية ولكنك قد تفهم التاريخ الامريكى دون ان تعرف الكثير عن الهند ، أو الصين ، أو العالم الاسلامى .

وايت : أى نوع من الاجتماعات يلم شمل المدنية ؟

تويشبي : حسن ، اذا فكرنا مرة أخرى فى مدينتنا الغربية ، خيل الى أن الذى يلم شملها احتفالنا بالحرية الفردية - أو ما يمكن أن نسميه بقدسية شخصية الفرد . أما بالنسبة للمدنية الهندية فقد يكون الرابط نوعا من أنواع الزهد فى هذا العالم - شعور الهنود بأن النجاح المادى والانتصار المادى نوع من الوهم وأن الشيء الحقيقى إنما يوجد فى غير هذا العالم . . . وهو أمر يبدو مختلفا من وجهة نظرنا . أما الذى يميز الصينيين فهو احتفالهم الكبير بالروابط الأسرية - والتقاليد - وهكذا ترى أنك أمام ما يمكن تسميته بـ « الأسلوب » ان شئت على استخدام هذه اللفظة لى حديثه عن المدينيات و « الأسلوب » هو الذى يميز مدنية عن أخرى .

وايت : هذه الاحاسيس تلم شمل المدنية ، ولكن لماذا إذن تنهار المدنية او تتحلل ؟

تويشبي : اعتقد أن السبب فى ذلك - ولتستخدم اصطلاحا عتيقا

٢- الخطيئة الاولى المركبة في الطبيعة البشرية ، كما ان السبب موجود في افتقار شئون البشر الى الكمال . أن كل ما هو بشري يميل الى الانهيار . أننا نعيش في خطر دائم ، وعلينا - دائما - أن نكون على حذر، ذلك لان اللحظة الأبدية هي الثمن الذى تدفعه لقاء أى شيء تحققه الكائنات البشرية .

دايت : هل تلصد انك تعتبر المدنية شبيهة بخلية حية مآلها الموت ؟

توينبى : لا ، أنا لا أفكر في المدنية على هذا النحو . ويخيل الى أن ذلك تشبيه زائف . وأعرف أن الكثيرين أوردوا هذا التشبيه . ولكنى لا اعتقد أن المدنية - التى لا تعدوا أن تكون شبكة ضخمة من العلاقات بين الافراد من البشر - لا اعتقد انها مثل الخلية الحية تماما . وإذا كنا نعرف أن أبة خلية واحدة لا بد أن تموت أن عاجلا أو آجلا ، فإن هذا لا يعنى أن نظام الصلات والروابط يجب أن يموت .

دايت : ومع ذلك ، فقد وجدت أن المدنيين قد ...

توينبى : قد ماتت في الماضى ، نعم . ولكن ذلك لا يجعلنى ، مرة أخرى ، أومن بالتقدير أو المصير . لقد لاحظت ، على منبيل المثال ، أن أعمالها تمتد لغترات مختلفة . فبعض المدنيين عاشت بضع مئات السنين فقط ، على حين عاش البعض ألف سنة أو خمسة عشر ألف سنة .

دايت : فما هى السمات التى تميز مدنية قصيرة الأجل عن أخرى طويلة الأجل ؟

توينبى : ان هذا يقودنى الى عبارتى ، أو قل : عبارة روبرت براوننج : التحدى والاستجابة . أعتقد انه فى كل لحظة من حياة كل فرد فيها ، وفى كل لحظة من حياة مدنية من المدنيين ، يتحدانا على الدوام موقف جديد - موقف علينا أن نواجهه ، لما نجعلنا أو قشلنا . وقد نفشل فى أبة لحظة ونبدأ فى الانحدار ، وقد ننجح ونستمر فى العيش .

دايت : فإين تلك مدنيتنا الآن على ضوء تحليلك ؟ وبعبارة أخرى : ما التحدى الذى يواجهنا فى هذا العصر وما الاستجابة المتوقعة ؟

توينبى : أود أن أقول ان التحدى يتخذ الشكل التالى : هل سندع أنفسنا نسير فى الطريق الذى سارت فيه جميع مدنيات الماضى

«لنى انهارت ، كما تعرف ، وتمزقت اربا اربا ؟ نستطيع ان نلمس مظاهر كثيرة للموقف نفسه - أهمها ان زمام الحرب افلت - ونحن نعرف ماذا كانت النتيجة في تاريخ المدنيات السابقة ؟»

هل يجب علينا ان ندع هذا يحدث ؟ هل نقف مكتوفى الابدى وندع مدينتنا تنهار ؟ ام اننا نستطيع انقاذها ؟ اعتقد ان هذا يشكل تحديا . وانا ، شخصا ، متفائل ، ذلك لاني اؤمن بقدرتنا على انقاذ انفسنا اذا شئنا ذلك .

وايت : يخيل الى اذن ، اذا نظرنا الى مسألة تجنب الحرب ، والحرب المدمرة ، ان التحدى الحقيقى انما يواجه الولايات المتحدة وروسيا ، وهما مطلقتان بتجنب الحرب .

توينبى : نعم . وايست المسألة سهلة ، وخاصة ان العالم كله منحاز الى مجرد ممسكين كبيرين ، فقط . . . كما انه ملح بهذه الاسلحة الذرية . اننى ائس هنا شيئا جديدا . لم يسبق لنا ان امتلكنا اسلحة بهذه القدرة على التدمير . كما انى ائس هنا شيئا يدعو الى الامل . فبالرغم من ان اسلحة جديدة قد اخترعت في الماضي ، وبالرغم من اثرها المروعة ، فاننى لم اسمع في التاريخ بسلح جديد اثر على اخيلة الناس مثلما اثرت الاسلحة الذرية على اخيلتنا . اعتقد ان بلايين الناس ، في جميع انحاء العالم ، قد مروا تماما ان ظروف الحرب تغيرت ، واعتقد ان هذه النقطة بشير امل .

وايت : اذن فاكشفاف الطاقة الذرية لايندر بقدر محتوم وانما يبعث في نفسك الامل ؟

توينبى : نعم . من الواضح اننا نمر بفترة عسيرة جدا ، وخطيرة ، وقلقة . ولكنى لا ارى فيها علامات المصير المحتوم .

وايت : عندما افكر في المجال الضخم الذى يتناوله كتابك « دراسة للتاريخ » ، اسماعل في دهشة : ما مكان الفرد في هذه المدنيات التى تتحدث عنها ؟

توينبى : تلك نقطة هامة ، ليس كذلك ؟ ذلك لان المرء ، عندما يستعرض تاريخ الماضى، يجد قلة من الافراد الذين - حسن ، الذين صنعوا التاريخ - اننى افكر الآن في المستر تشرشل عام ١٩٤٠ ، عندما كتب يقول انه يشعر بانه يسير مع القدر . وكان يقصد بذلك : انه مسئول شخصا عن صياغة مجرى الامور . ولكنى اؤمن بان الناس جميعا هم الذين

يصنعون التاريخ . ربما كان المستر تشرشل قد قام بدور الرميم ، ولكن لو لم يتبعه خمسون مليوناً من الرجال ، والنساء ، والأطفال البريطانيين ، لما كان لهذه الزعامة وزن يذكر . إن لكل واحد فينا وزنه في التاريخ ، وإن يكن هذا بدرجات متفاوتة . ومهما يكن الأمر فإن الأفراد هم الحقائق الوحيدة في التاريخ ، اليس كذلك ؟ ليس هنالك غير الصلات بين الكائنات البشرية . وإذا كان التاريخ لا يكتب على يد الكائنات البشرية ، فإنه لا يكتب على يد أي شيء آخر . إن كل شيء يصاغ ويتحلل ، كل شيء يخلق ويتحطم ، كل شيء ينجح أو يفشل . كل هذا يتم على يد الأفراد .

وايت : ولكن ، يبدو لي أنك حدثت التحدى أيضاً في صورة الدين .

توينبي : نعم . وأعتقد أن أي تحدد حين يمس الشسفاف ، حين بضحك في مواجهته بالفعل ، بجملك مع الدين وجهاً لوجه . ولقد غابت عنا هذه النقطة في عالمنا الغربي ، فمنذ قرنين أو ثلاثة تقريباً ، وبعد تلك الحروب الدينية التي تقاثلنا فيها ، الكاثوليكيون منا والبروتستانتيون ، سئمنا الدين : بدا لنا الدين وهو لا يقضى إلى شيء سوى الحرب والشحناء والكراهية والقسوة ، وتحولنا إلى أشياء أخرى — إلى العلم والتكنولوجيا — باعتبارهما اهتمامات مأمونة ، اهتمامات بريئة بالقياس إلى الدين . ولكني أعتقد أن الكائنات البشرية لا تستطيع أن تعيش قط بدون دين . وعندما تمتزج فترة متأزمة ، ونحن نعيش في فترة متأزمة من الناحية الروحية ، فإن الدين يواجهك ، عليك أن تعالجه .

ومن الصعب جداً أن يحدد المرء ما الذي يعنيه بكلمة الدين ، اليس كذلك ؟ أعتقد أنني أقصد بها : السر الكامن وراء الأشياء التي نستطيع أن نتناولها ولمسها — السر الكامن وراء الظواهر ، كما نسميها . لا يكفي أن ندرك أن هناك سرا ، وإنما يجب أن لمس السر بالتراضع الشديد أمامه ، وبالرغبة في الاتصال به ، والانسجام معه . فإذا نظرت إلى الدين هذه النظرة المريضة ، فهذا ما أعنيه بكلمة الدين . وأعتقد أننا إذا وجعنا إلى الدين قلن نرجع إليه وهو بالصورة التي كان عليها يوم ابتعدنا عنه . إن الأمور لا تكرر نفسها على هذا النحو . أريد أن أقول إن كل التجارب التي مررنا بها ، والأشياء التي تعلمناها ، مستندعج في نظرنا الجديدة إلى الدين .

وايت : لقد سميت إلى اللام بالكتير من الأمور ، وكثيراً ما عن لي أن أسألك : ما الحدود التي ترى أن أدراكنا قد يقف عندها ؟

تومبشي : فيما يتعلق بي وحدي ، أأمل أن أكون قد تعلمت - حسن ، تعلمت ما يكفي لاعلامى بضالة معارفي . وعلى كل فكلما تعلمنا - أليس هذا صحيحا ؟ اكتشفنا مدى ضلالة معرفتنا . ونحن نرى العالم المبادئ مبتدا من ناحية الى ما لا نهاية ، ومبتدا من ناحية أخرى امتدادا ضئيلا جدا لا يكاد يذكر . افلا ينطبق هذا الوضع على العالم الروحي أيضا ؟ ونظرا لأن علماء النفس يطلعوننا على عالم لانهائي في داخل كل واحد منا ، ولأن الديانات الكبرى ترىنا عالما لانهائيا خارجنا ، فأننى أعود الى النقطة التي سبق أن أشرت إليها - وهي أننا نرجع الى السر الكامن وراء الظواهر ، فاذا اقتربنا من هذا السر في تواضع فإنه يبيدنا الى الدين وجهها لوجه .

وايت : أفهم ما قلته لي أنك لن تدعنى اذا رأيت أن كتابك «دراسة للتاريخ» ، سيغدو عتيقا في المستقبل ، ما رأيك ؟

تومبشي : اننى على يقين من أنه سيغدو عتيقا . اننى أعتبر افكارى . . . حسن ، أعتبرها مفاتيح لفتح سلسلة من شئون البشر . وأعتقد أنها مفاتيح جيدة ، وأنها تفتح الابواب بالفعل . غير أن لكل آلة وظيفتها وامكانياتها المحدودة . والتاريخ يتحرك اليوم بسرعة كبيرة كما قلنا . والذي أمله أيضا ، كنتيجة من نتائج كتابي ، أن أحفز الآخرين الى دخول ميدان البحث هذا . وكلما ازدادت الجهود المبذولة في هذا الميدان تغيرت افكار الناس بصورة أسرع ، وفي وقت مبكر . وصاعتبرها علامة من علامات النجاح اذا حل مجهود آخر محل مجهودى الشخصى . ان مجهودى مجرد دلو من الماء ألقى في نهر . ولن يتغير تدفق الماء في النهر الا بمقدار طفيف للغاية .

وايت : فهل تمتزم المضى في دراستك الى أبعد من ذلك ، أو أن لديك مشروعات أخرى في المستقبل ؟

تومبشي : لدى مشروعات أخرى ، نعم . . . كل الاشياء التي لم أنجزها لأننى كنت مشغولا بهذا الكتاب المطول خلال تلك الاعوام . لقد أعددت بعض دراسات عن التاريخ اليونانى والتاريخ الرومانى ، وكنت قد وضعت خططها قبل الحرب العالمية الاولى ، وستنتهى منها الآن . وهناك ، مرة أخرى ، كتابي «دراسة للتاريخ» ، كما أن ازدياد الاهتمام العام بنظرته العريضة الى الشئون البشرية قد أثار مناقشة ولقاء كبيرين ،

وآمل أن تتضاعف المناقشة وتتضاعف النقد ، وسيدفعني هذا إلى إعادة النظر في أفكارى (١) . ويحتمل أن يظهر هذا في شكل كتاب جديد .

وايت : يبدو لي أن إيمانك بالمستقبل يكذب من وصفوك بآلك بيلدر بصير محتوم .

توينبى : كريستوفر ، أئننى أؤمن بأن الحياة حركة ، إنها حركة، وإن لم تتحرك منيت بالفشل . واعتقد أن هذا واغسح تماما في حالة الرجال الايجابيين . وأنا على يقين من أنه ينطبق على أناس مثلك ومثلى - على الأساتذة ، والفلاسفة ، والمؤرخين . علينا ، شأننا شأن الآخرين ، أن نستغل - بأفضل صورة ممكنة - الوقت والطاقة اللتين نملكهما في حياتنا ، والحياة قصيرة .

وخلال تلك الفترة الطويلة التي استغرقها تأليف كتابى كنت أسمع ، بأذنى عقل ، سطورا لشاعر انجليزى . كان يكتب منذ ثلاثمائة عام مضت ، غير أن كلماته حية اليوم مثلما كانت حية بالأمس . انها أبيات أندرو مارفيل Andrew Marvell التى يقول فيها :

بيه أنى أسمع دائما من روائى

عربة الزمن المجنحة تدنو سريعا ..

(١) وأدى هذا إلى ظهور مجلد اضافته توينبى إلى اجراء « دراسة للتاريخ » - والمجلد الأخير يحمل عنوان « امادة نظر » *Reconsiderations* ولد طبع في عام ١٩٦١ -
(المترجم)

الجنس البشرى ، ذلك البغل الذى لا يقهر *

~~~~~

لا جلوى من أن يصبح المرء كاتباً ما لم يكن *en rapport* (١) مع العالم الذى يعيش فيه . ومن الممكن استعمال القلم فى أغراض مختلفة : كان يستعمل فى تأييد الاتجاهات السائدة ، أو فى معارضة . ولكن ، إذا أراد الكاتب النجاح فى تحقيق غرضه ( فيما كان ) فى الفترة التى يعيش فيها ، فلا بد أن تصل الكلمة المكتوبة إلى عقول معاصريه ، وتمس مشاعرهم . فإذا فشل الكاتب فى ذلك فكله قد أودع أصول كتاباته فى إحدى الخزائن ، آملاً أن يجيء اليوم الذى يظهر فيه جيل يحتفل بكتابه . وفى مقدورنا أن نذكر كتاباً تعرضوا لهذا المصير - ومن الأمثلة الشهيرة : إكسباتون ، وابن خلدون ، وروجر بيكون ، وفيشو ، ومندل . ولكنه مصير محزن ، وأسوأ من هذا أن الكاتب يفشل - بمقتضاء - فى تحقيق رسالته ، أنه يفشل فى التأثير على معاصريه فى عصر يتعرض فيه مصير الجنس البشرى نفسه للخطر .

ولكن نضع أننا نعيش اليوم فى عصر من هذا الطراز . ويجمع على صفة هذه القضية أناس يختلفون حول أى نقاط أخرى قريباً . وليس من شك فى أن كل جيل يميل إلى الانحسار بأن تاريخ البشرية . وصل ، فى عصره ، إلى حتهاء . هذا السراب واحد من مجموعة كبيرة صنعها اهتمامنا السرف بلواتنا ، وعليها أن نبحت فى أمر هذا السراب .

نشر هذا المقال لأول مرة بالحق الأدبى لمجلة التايمز البريطانية ، وذلك ضمن مجموعة مقالات طمد من الكتاب تحت عنوان «حدود التحكم» *Limits of Control* . والهدف من هذه المجموعة توضيح موقف الكتاب من ظروف العصر الحديث . تم نشر هذه المقالات ، مجموعة ، فى شهر يونيو من عام ١٩٦١ تحت عنوان « حرة الكتاب » *The Writer's Dilemma* . هذا ، وقد تضمن مقال توينبى هذه المجموعة .

(١) متفاعلاً من الفرنسية - لعللت الإحباط ، داخل المقال المترجم ، باللائاق التحي .  
يكتبنا توينبى بشر اللغة الإنجليزية ، وذلك لصيانة روح النص .  
( المترجم )

• ونرفضه • ولكن ، بالرغم من التسليم بهذه الحقيقة ، فإننا قد نتفق على أن العصر الحاضر هو على كل حال عصر خطير بصورة غير معتادة ، وأنه - أيضا - عصر تغير سريع غير معتاد • إن كتاب العصر الراهن أخذوا يتتقلون ، خلال حياتهم الواحدة ، من عصر الى عصر آخر يبدو أنه يختلف جدا عن سابقه •

وهناك ، بوجه خاص ، اختراعات يؤثران على المؤلفين لأنهما يؤثران على كل إنسان • لقد بدأنا نتعلم كيف نؤثر على الكائنات البشرية نفسيا وجسائيا ، ولقد استتبطننا بواعث جديدة لكي يؤثر كل منا على الآخر بهذه الطريقة •

إن الاماليب الجديدة الخاصة بتشكيل النام باتت معسوفة بصورة منفردة • ففي السوق الآن اماليب ميكولوجية ، و«عصيل للمخ» وعقاقير ، وعلماء الاحياء يتحدثون عن احتمال معالجة البشر لاساليب الطبيعة في التناسل • ويبدو محتملا في هذا الميدان كله ، أننا ما زلنا عند المرحلة الاولى فقط من غزو الانسان لعالم جديد ، وواضح أن من الممكن استغلال هذه الطاقة الجديدة الهائلة اما للخير أو للشر والبواعث الجديدة التي تدفعنا الى استغلال هذه الطاقة ، واعتبار هذا الاستغلال أمرا مسلما ، تتبع كلها من تضخم هائل مفاجيء ، في حجم المسائل البشرية اذا ما قيست بحجمنا السيكلوجي والمادي ، نحن أفراد الجنس البشري •

صحيح أننا نجحنا في مضاعفة حجمنا ، فنقل بمقدار ربع ذراع ، فالعلوم الطبية ضاعفت الطول العادي لحياة بالغة مثمرة في عملها، وربما ضاعفت أيضا من كمية الطاقة الذهنية والجسائية (١) per diem ، وقد بات هذا واضحا في ثلث الجنس البشري ، الذي أصبح مزدهرا الآن • وقد نأمل ، ونتوقع ، أن الثلثين اللذين ما زالا خاملين سيحصلان ، في النهاية ، على الثمار نفسها من التقدم العلمي • ومع ذلك ، فإن هذه الزيادة الحالية في مقدرة الكائن البشري الفرد هي زيادة متواضعة في أقصى صورها ، أما التضخم ، الراهن ، في مجال الشؤون البشرية فأكبر حجما ، وذلك بصورة غير متناسبة • أن ضخامة الشؤون البشرية تتضاعف بصورة غير منتظمة في ثلاثة مجالات على الأقل • إن عدد سكان العالم أخذ في الازدياد • وعدد الأجهزة المخصصة لكل نسمة ، وقدرة هذه الأجهزة ، أخذان في الازدياد أيضا ، كما أن قدرة هذا الجهاز على

(١) الهرمية ( من اللاتينية ) •



المتدمير - في حالة تطبيقه في الحرب - أخذة في التضاعف كذلك - هذه الزيادة المتفجرة للغلات ، التي ضاعفت من حجم الغشون البشرية ، تفسر حوافز قوية تدفعنا الى استخدام قدرتنا الجديدة على تشكيل الكائنات البشرية .

مثال هذا أن ضخامة عدد السكان تلزمنا بأن نحافظ على استمرار التعامل بمعناه العريض ، أي بتنظيم الروابط التي تربط بين الكائنات البشرية بعضها مع بعض . وفي المجتمع المكتظ بالسكان نجد أن المهام الخاصة بخدمة الناس ورعايتهم في غلوهم ورواحهم بين مساكنهم وأماكن عملهم تتطلب تنظيماً دقيقاً سريع الحركة ، أي تتطلب تنظيماً دكتاتورياً . ومن الطبيعي أن « رجل المنظمات » ( بالمعنى المشهور الآن ، والذي يحاول الحط من شأن الرجل الحديث ) أسس قياداً لهذه العمليات التنظيمية من الإنسان ذي النزعة الفردية ، كشبيه بالماض ، أو البقل ، أو الجمل . إن منظمتنا في حاجة الى نوع من النحل البشري أو النحال البشرية . فإذا كنا نصل الآن الى أسلوب نحول به النحل الى نحال أصبح لدينا دافع قوي لتطبيق هذا الأسلوب الجديد تطبيقاً شاملاً .

وحجم الجهاز ، وقدرته ، يتطلبان أيضاً تنظيماً دقيقاً دكتاتورياً لكي يعمل هذا الجهاز . وهو جهاز خطير ، حتى حين يستغل لأغراض سلمية بناءة . فلقد كان لمن ادخل الآلات التي تسر بالطاقة في المصانع والسكك الحديدية والطرق هو تطبيق نظام عسكري في الوظائف المدنية وواضح أن ملاحظ الآلة المدوب أحسن تدريب أو قائد السيارة الماهر ، أو محرك الآلة ، أو عامل الآلة ، أقل خطراً على أمن الجمهور من صاحب النزوات الذي لا يعمل إلا يوحى من إرادته وحده . لا مكان في عصر الآلة لأبطال مثل أخيل الإسكندر الأكبر ، وشارل الثاني عشر (السويد) فضلاً على عدم وجود مكان لهم في عصر الدرة الذي سببته قروح عصر الآلة . إن مديري المصانع ، ورجال السكك الحديدية ، ورجال شرطة المرور ، في حاجة الى أشخاص من طراز الفرق البروسية التي صقلها فريدريك الأكبر . ومن نافذة القول إن لدينا بعضاً يحفزنا الى التحكم في أنفسنا بحيث لا نستخدم الأسلحة الذرية . والرغبة في عدم وضع حد لحياة السلالة البشرية ، بما فيها أنفسنا ، تكاد تكون أقوى باث لدى الكائنات البشرية . وربما كنا أقرب الى الصواب إذا ذكرنا أنفسنا بأننا إذا نجحنا في تخليص العالم من خطر الحرب الذرية، فإن هذا لن يبق العالم من العبث البشري . لن يقيه لأننا سنظل نعيش

فى العصر اللدى ، والطاقة اللورى - حتى حين تستغل بصورة سلمية  
بناءة - أشد خطرا من أى مصدر للطاقة الطبيعية طرقه انسان من قبل .

ذلكم ، اذن ، وضعنا الرامن - ان الكائنات البشرية تبدو اليوم قزما  
بسبب المجتمع البشرى ، وبسبب نتاج المجتمع العقلانى ، هذا ما يحدث  
لنا الآن على كل حال . فاذا أردنا « النجاة أولا » صارت لدينا بواعث  
قوية للتشدد فى وضع هؤلاء الأقزام الجموحين تحت رحمة المجتمع ،  
بذلك بتفكيكهم . هل يجب علينا أن نتصرف بوحى من هذه البواعث ؟  
أو أنه يجب علينا أن نقاومها وبذا نعرض نفوسنا للخطر ؟

ثمة شىء يبدو محتملا : مستطوى المقاومة على خطورة اذا مارسها  
الكتاب . ان مهمة الكاتب تتلخص فى اكتشاف الافكار ، ونشرها . وكل  
الآراء الجديدة تبدو خطيرة فى نظر معظم الناس ، وبعض الآراء الجديدة  
خطيرة بالفعل بالرغم من أنها قد تكون ( أو لا تكون ) مثيرة ومثمرة فى  
الوقت نفسه . وفى الأزمنة والامكنة التى شمر فيها الناس بأنهم يعيشون  
فى عالم خطير تعرض « للتفكير الخطير » للنبذ ، والتعويض والاضطهاد .  
ومن الأمثلة القديمة على هذا : الدول التى أرادت أن تكون عالمية ، والتى  
أتاحت لبعض المجتمعات مهلة ، وذلك بفرض السلام والنظام بعد أن كان  
المجتمع قد أوشك أن يدمر نفسه بنفسه بسبب الحروب والثورات  
المستمرة . ويقال أن مؤسس الدولة العالمية الصينية أحرق كتب المدرسة  
الفلسفية التى ازدهرت فى « عصر الملوك المتحاربة » السابق . ويقال  
أيضا أن أحد أباطرة الرومان الأول كالا شخصا اخترع زجاجا لانهشم  
بأن سفك دمه وحطم مواصفاته . وزعموا أن الإمبراطور أراد بهذه  
الخطوة أن يبقى العالم شر قلائل اجتماعية جديدة ، وهى القلائل التى  
قد نشب اذا طرد صانعو الزجاج العادى من عملهم ، وانتشرت البطالة  
نتيجة لذلك . فاذا كان هناك شك فى صحة هاتين القصتين ، فانهما  
ben trovato (١) ولسمنا لشكك فى صحة اضطهاد الحكومة  
الرومانية للمسيحيين الذين رفضوا أن يلقوا بذرقة من عطر فى  
هيكال التيسر . رأت الحكومة أن هذا الرفض من قبيل التعويق بالمنعم  
المستعثر ، لنظام على استتب بعد جهد وكد ، كان الشهداء المسيحيون  
مثل أخيل أو شارل .

الثانى عشر : قبلة مخادعة . كانوا يضحكون بسلامة المجموع فى

(١) تطويان على مغزى كير . ٢ من الإيطالية ؟

سبيل لزوجهم هم . ان مجتمعاً يفتقر الى الأمان لا يستطيع احتمال أوراق .  
« الجوكر » هذه ، الموجودة وسط حزمة عادية من أوراق اللعب .

والبايث وراء عملية التشكيل واضح ، بل أنه يبدو الى الاحترام  
ومع ذلك فان رصيد الجنس البشرى الأكبر كائن في الطاقة الإبداعية ،  
تلك الطاقة التي تتجسد وتفور في أفراد من الرجال والنساء فإذا عرفنا  
كيف نطغى هذه الشرارة المقدسة ، وإذا استغفنا من علمنا الجديد  
الاستفادة الكاملة ، فإنا سنقضي على الحياة الإنسانية بالركود ، وربما  
قضيئاً عليها بالانتكاس بعد ذلك . وليس من شك في أن هذا الوضع  
ليس سيئاً سواء إبادة الجنس البشرى ، إذ طالما أن هناك حياة فهناك  
أمل . واعتقد أننا قد لاندخل عملية التشكيل الى الحد الذي يتعلمه  
مناهضة أعمال الرجل للبولى أو مناهضة أعمال الشيطان . ومع ذلك  
فمن الصعب أن نفكر - بعد مسألة الإهادة - في مصير نجره على أنفسنا  
أسوأ من تحولنا الى نمل البشرية أو نمل بشرى .

ومن حسن الحظ أن الأدلة الموجودة توحى بأن المسألة لن تستعنى.  
اختيار أحد امرين : إما كل شيء أو لا شيء قالى الآن والحياة تتقدم عن  
طريق صينغ العمليات بعيفة آليسة لكي تتحرر بذلك الطاقات  
الباقية . وفي الكائن البشرى نجد أن من بين العناصر التي تحفظ له بشرته  
- أى تجعله يفكر ويتخذ قرارات - أن قلبه ورثته سيعملون بطريقة آلية .  
ولو كان مضطراً الى التفكير في كل ضربة من ضربات قلبه وكل زلزة - ،  
والى تنفيذ هذه العمليات إرادياً ، فلن يبقى له وقت أو طاقة ينقها  
في اهتمامات أسمى . ان نظام التلقم الذى يعمل في طلة قلب شيلر  
ورثناه قد يختلف (١) toto caelo من نظام الحرية الذى تعمل في ظله  
مشاعره ، وأفكاره ورغباته ومع ذلك يستطيع هذان النظامان المتعارضان  
أن يعيشا معاً داخل الشخص الواحد ، وهذا مايقعلاته حقاً ، وأكثر من  
هذا أن أفكار الشخص ومشاعره وقدرته على الاختيار لم تكن لتعزوب .  
ولو جريئاً - كما هي متحررة الآن ، لولا أن ضربات قلبه ، ونفسه ،  
اعتادت على التردد دون أن يضطر إلى الالتفات إليها .

نفهم من هذا أن مواطنى العالم ، بما فيهم الكتاب ، يستطيعون -  
حتى في مصرنا الخطير ، عصر الذرة - أن ينعموا بالحرية في بعض وجوه  
نشاطهم - وربما تحوروا في هذه الميادين أكثر من أى وقت مضى -  
بالرغم من أن وجوها أخرى لنشاطهم قد تنظم بطريقة دقيقة مربكة ،

(١) الى حد حال . ( من اللاتينية ) .

واتنا على يقين من أن المواطن ، في مجتمع المستقبل العالى الذى تسيره  
 الذرة ، سيكون من واجبه الوقوف في الطوابير في صبر - وإبداء احترام  
 ديني لاشترات المرور بالحمرات ، وعليه أن يكون حريصا ودقيقا وعاطلا  
 يوحى من ضميره وهو يحضر استمرات رسمية معقدة لا حصر لها . وفي  
 حينين كهذه سيطلب المسئولون من المواطن أن يكون كالنساء في اطاعته  
 للنظام ، وسيكون هذا المطلب مشروعا لأن الإيابة قد جعل محل العامة  
 في هذه الحالات . بل علينا أن نتوقع أن يقتحم التنظيم الرسمي  
 للحياة ، يقتحم مخايبه دنيئة ظللنا نعتبرها حرما مقدسا للحرية الفردية .  
 هل المواطن (أ) أو المواطنة (ب) لائق - من الناحية التناسلية - لانجاب  
 الأطفال ؟ فإذا جاء الرد بالإيجاب - في ذلك الجزء من الاستمارة المحفوظة  
 للاستخدام الرسمي والذى يملأ بطريقة الاختزال - كان السؤال التالى :  
 ما عدد الأطفال الذين يرخس للمستتر (أ) وصن (ب) بانجابهم ؟ قد  
 يبدو هذا القدر من التنظيم الرسمي الحكومى أمرا غير محتمل ، غير أن  
 الأمر قد يقتضيه . والنقاط التى يجب أن نضعها في الاعتبار هى أنه  
 ستظل هناك مجالات للحرية بالرغم من هذا ، وأنه كلما تعلم علينا أن  
 نظل أحرارا في ميادين أخرى - فأحرى بنا أن نمارس حريتنا - بقوة  
 وبصورة إبداعية - في الميادين التى ستظل مفتوحة للإبداع الحر .

وفي عالم كهذا ، يبدو أن الكتاب وغيرهم من أصحاب الأرواح  
 الإبداعية بما فيهم المهندسون والقديسون ، ومصممو الآلات ، والأنبياء ،  
 والنحاتون «Und sowerter» (١) سيواجهون قدرا من القهر ،  
 والمسئوليات ، والمخاطر ، لم يسبق له مثيل واذ تنحصر الحرية من  
 الاقتصاد والسياسة ، ستتركز في الدين وفي الفنون . ولا أعتقد أن  
 الحرية مستطرفة ، مهما بلغ من تقدم علم التشكيل والتأقلم ، ذلك  
 لأنى أؤمن بأن الإنسان بقل لا يقهر ، وجمل لا يقهر ، وأن خبراء التشكيل  
 قد يحققون أبشع افتراضهم غير أنهم سيفشلون في تحويل الإنسان إلى  
 شاة مالة في المائة أو نملة مالة في المائة . ولكن يبدو أن الكتاب في مثل  
 هذا العالم الجديد سيدفعون ثمن الحرية في صورة حرب دائمة مع  
 اللجان .

(١) وحلم جرا . ( من الألفية ) .

وستكون هذه الحرب خطرا على الكتاب ، لان لجان العصر الذرى، هذه ستكون صلبة الرأى ، وسيطرة ، تفرض مقاييسها فيما تراه هي صائبا وسليما . وستتصر بانها حامية حتى الجنس البشرى ضد الخطر الدائم : خطر التدمير الذاتى الجماعى . وجميع اللجان ، فى جميع الأزمنة ، ادنى - من الناحية الاخلاقية والفكرية - من المستوى المتعاد للكانات البشرية المشتركة فيها . وحين تكون أعضاء فى لجان فاننا نفوس الى أعماق لم يكن يعق لنا أن نفوس اليها فى ظل قدراتنا الشخصية . وليس من شك فى أن اللجان شر لابد منه . ومع ذلك ، فهى وكالات منافية للنزعة الانسانية ، ولذا وجب مقاومتها بمقدار - وهذا الواجب الذى يحتم مقاومة استبداد اللجان سيقى - بصفة خاصة - على عائق العمال الإبداعيين فى عالم العصر الذرى . وهناك حقائق لا يمكن انكارها ، وهى، تبرر هذه المقاومة . لم تظهر قط لجنة استطاعت أن تنظم قصيدة ، أو تؤلف «سوناتا» ، أو ترسم صورة ، أو تصمم مبنى أو قنطرة أو سفينة . وحين كانت هذه الاعمال تتم لم تكن تتم على أيدي لجان ، وانما على أيدي كائنات بشرية تصرف كالأفراد ، وتمارس الحرية الفردية التى تعتبر المصدر الوحيد للابداع البشرى .

وفى العصر الذرى سيضطر العامل المبدع الى القتال ذودا عن حريته، حتى لو كلفه هذا حياته . وسيضطر الى هذا لا لكى يحقق الحرية لنفسه فقط ، وانما لكى يعطى منها جرعات ملهة لجمهور يسود أنه قطع فى التشكيل شوطا بعيدا ولا مناس من أن يرى المستولون ، فى هذا النشاط الموقظ ، ضربا من التخريب . وسيكون من بين مهام العامل المبدع فى العصر القادم أن يقنع السلطات بانها ستعظم المرافها الشريفة اذا هى أصرت على تشكيل جميع سكان العالم مائة فى المائة - انها ستقضى على انسانية الطبيعة البشرية ولذا ستفسخ خاتمة للجنس البشرى تماما مثل المجنون الذى اطلق عنصر الابادة الذرية من عقاله . ومن الممكن أن يفقد الجنس البشرى انسانيته ويظل مجرد جسد .

ولن يكون من السهل كسب السلطات . وسيضطر العامل المبدع الى أن يقتنعهم بأنه بالرغم من أن وظيفته تبدو - فى ظاهرها - معادية

«وظيفتهم» ، فإن أحاسه بالمسئولية لا يقل صدقا عن احساسهم . وفي  
«العصر الفدى» ستتخلص رسالة الكاتب في أن يجب نفسه لوظيفة ذبابة  
«الحيل» . ولكن ، لن تكفى إخلاصه لهذه المهمة ودأبه فيها . ان الكاتب ، من  
«طراز ذبابة الحيل» ، سيسحق ، وسيسحق في الحال اذا هو فشل في كسب  
تسامح المسئولين ، ومعنى هذا أنه مضطر – في علاقاته العامة – الى أن  
يكون على حذر في جبهتين . سيكون أمام كاتب العصر الفدى رقباء يجب  
أن يفكر فيهم ، الى جانب القراء غير الرسميين ، لذا عليه أن يضاعف – على  
الأقل – من اليقظة والحذر اللذين مارسهما أسلافه . وهذا المطلب كبير ،  
ولكنى أعتقد أنه سيواجهه . ومن مصلحة الجميع أن يواجهه ، ذلك أن  
«العالم لا يعتمد رؤية كتابه وقد طردوا من عملهم» .

## لقاءات بين المدنيات (١)

- ١ -

أى حدث سينتقيه مؤرخو المستقبل ، بعد قرون عدة ، ويعتبرونه أبرز حدث فى عصرنا ، وذلك عندما يتطلعون الى الوراء ، الى النصف الأول من القرن العشرين ، محاولين التعرف على وجوه نشاطه وتجاربه على ضوء المقياس العادل الذى يكشف عنه البعد الزمنى أحيانا ؟ يخيّل الى أنهم لن يختاروا أى حدث من هذه الأحداث السياسية والاقتصادية ذات الطابع المثير أو المأسوى أو المدمر ، والتي تحتل العناوين الرئيسية فى صحفنا ومكان الصدارة فى أذهاننا . لن يختاروا الحروب ، أو الثورات ، أو المذابح ، أو عمليات القتل ، أو المجاعات ، أو التلخمة ، أو دورات الكساد أو الانتعاش ، وإنما سينتقون حدثا لا نعيه نحن بصورة كاملة ، حدثا من الصعب أن نضع منه خبرا للصفحة الأولى . ان الأشياء التي تنجح فى خلق عناوين رئيسية إنما تجتذب انتباهنا لأنها على صفحة مجرى الحياة ، وهى تصرف أنظارنا عن الحركات التي هى أكثر بطننا ، الحركات غير المسومة ، التي لا يمكن تقديرها ، تلك الحركات التي تؤدي دورها تحت السطح ، وتنفذ الى الأعماق . ولكن ، الواقع ان هذه الحركات التي هى أكثر عمقا وبطنا هى التي تصنع التاريخ فى النهاية ، وهى التي تبرز جيدا عند التطلع الى الوراء ، بعد أن تكون الحوادث المثيرة العابرة قد تضاهلت - بعضى الوقت - الى نسبها الحقيقية .

والمنظور الذهني ، شأنه شأن المنظور البصري ، لا يتضح بجسده إلا حين يكون المراقب قد وضع بينه وبين الجسم مسافة معينة . مثال هذا أنك عندما تتنقل ، بطريق الجو ، من مدينة صولت لبيك Salt Lake

---

(١) Encounters Between Civilizations . وهو القال العادى متر في مجرمة القالات التي ظهرت عام ١٩٤٦ في مجلد واحد تحت عنوان «المدنية تواجه الاتحلال Civilization On Trial» لم اريد طبعا عام ١٩٤٦ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٧ .

لى دنفر Denver فان المنظر المقرب جدا للروكينز Rockies ليس أفضل منظر لها . وعندما تكون فوق الجبال بالفعل فانك لا تشاهد سوى حشد من القمم ، والأطراف ، والأخاديد ، والصخور الصلدة ، ولن تنفخ الجبال أمامك بنظامها الرائع ، سلسلة وراء سلسلة ، الا عندما تكون قد خلقتها وراءك حينئذ فقط ترى صورة الروكينز نفسها .

واذ أضح هذه الصورة لى ذهنى ، اعتقد أن مؤرخى المستقبل سيستطيعون رؤية عصرنا فى نسب أفضل من النصب التى نستطيع أن نراه عليها الآن . ترى ، ما الذى سيقولونه عنه ؟

اعتقد أن مؤرخى المستقبل سيقولون ان الحدث العظيم الذى شهدته القرن العشرين هو : أثر المدنية الغربية لى جميع المجتمعات الحية الأخرى. التى كانت موجودة فى عالم القرن العشرين . وسيقولون عن هذا التأثير انه بلغ من قوته وسعة انتشاره أنه قلب حياة كل ضحاياها رأسا على عقب ، وأخرج ما فى باطنها ، وأثر على سلوك ، ونظرة ، ومشاعر ، ومعتقدات الرجال والنساء والأطفال بصورة مباشرة ، ومس فى أرواح البشر أوتارا لا تمسها القوى المادية الخارجية وحسما ، مهما بلغ خطها من الضخامة والبشاعة . وانى أرقن بأن هذا هو ما سيقوله مؤرخون يتطلعون الى عصرنا ولا تفصلهم عنا سوى مساحة زمنية قصيرة ، كأن يكونوا لى عام ٢٠٤٧ ميلادية .

لما الذى سيقوله مؤرخو عام ٣٠٤٧ ميلادية ؟ لو كنا نعيش فى القرن الماضى ، لكان على أن اعتذر عن هذا الغرور الصارخ الذى يجعلنى أنظأهر بالتكهن بشئ قد يقال أو يحدث فى هذا التاريخ البعيد . كانت الألف ومائة العام فترة زمنية طويلة فى نظر أناس اعتقدوا أن العالم خلق عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد . ولكنى لمست بحاجة اليوم الى الاعتذار ، فمنذ عصر أجداد آبائنا طرأ على ميزاننا الزمنى انقلاب كبير ، لدرجة أننى اذا حاولت أن أرسم على هذه الصفحات صورة لتاريخ هذا الكوكب منذ ميلاده ، فلن أتمكن من المجردة أن تلصق فى صورتى تلك الفترة. الوجيزة ، فترة الألف ومائة العام .

لذا قد يقول مؤرخو عام ٣٠٤٧ ميلادية أشياء أطرف من الأشياء التى سيقولها مؤرخو عام ٢٠٤٧ ميلادية ، ذلك لانهم قد يبلون حينئذ بأطراف أكثر لتلك القصة التى يبدو أننا اليوم عند فصولها الأولى . واعتقد أن مؤرخى عام ٣٠٤٧ ميلادية سيهتمون - أكثر ما يهتمون - بالمؤثرات المضادة الهائلة التى سيكون الضحايا قد أحدثوها حينئذ لى



حياة المعتنى • لفي عام ٣٠٤٧ ميلادية قد تكون مدينتنا الغربية - كما عرفناها وهرقها أسلافنا الغربيون في الالف والمائتين او للثلاثة العاصم الاخيرة ، منذ خروجها من المصور المظلمة - قد تكون تحولت الى صورة غير معهودة تماما ، وذلك بعمل مؤثرات مضادة تنبع من عوالم اجنبية نحاول نحن اليوم اضطلاعها لمؤثراتنا - مستشع المؤثرات الجديدة من المسيحية الارثوذكسية ، ومن الاسلام ، ومن الهندوكية ، ومن الشرق الاقصى •

وبحلول عام ٤٠٤٧ ميلادية ، قد يبدو ذلك التمييز - الصارخ اليوم - بين المدنية الغربية كمعتمد والمدنيات الاخرى كضحايا للاعتداء ، قد يبدو ذلك التمييز تافها • فعندما يقبب اشعاع المؤثرات اشعاع مضاد لمؤثرات اخرى ، تبرز تجربة ضخمة متفردة ، تجربة هرقها الجنس البشري بأكمله : تخلص هذه التجربة في ان ميراثك الاجتماعي المحدود يتمزق اربا اربا نتيجة لارتطامه بالمواريث المحدودة للمدنيات الاخرى ، ثم تجد حياة جديدة - حياة جديدة مشتركة - تبرز من الحطام • وسيقول مؤرخو ٤٠٤٧ ميلادية ان اثر المدنية الغربية في المدنيات المعاصرة في النصف الثاني من الالف الثانية للعصر المسيحي ، كان اكبر حدث غير التاريخ في ذلك العصر ، ذلك لانه كان الخطوة الاولى نحو توحيد الجنس البشري داخل مجتمع واحد • وقد تبدو وحدة الجنس البشري ، عام ٤٠٤٧ ، شرطا من الشروط اللازم توافرها في الحياة الانسانية - مجرد جزء من نظام الطبيعة - وقد يقتضى الامر ان يجهدوا خيالهم لكي يتصوروا النظرة الاقليمية المحدودة لرواد المدنية خلال ستة آلاف العام الاولى من وجود هذه المدنية • كانت عاصمة الاثينيين لا تبعد عن اقصى حدود بلدهم اكثر عن مسيرة يوم ، وكان معاصروهم الامريكيون - او معاصروهم الحقيقيون - يعيشون في بلد تستطيع ان تميره بالطائرة من بحر الى بحر في مدى ست عشرة ساعة ، ولكن كيف استطاعوا ان يتصرفوا ( وقد فعلوا ذلك ) وكان بلدهم الصغير هو الكون ؟

لماذا عن مؤرخي عام ٥٠٤٧ ميلادية ؟ يخيل الى ان مؤرخي عام ٥٠٤٧ سيقولون ان اهمية هذا التوحيد الاجتماعي للجنس البشري لم تكن تكن في ميدان الاساليب الصناعية والاقتصاد ، ولا في مجال الحرب والسياسة ، وانما في مجال الدين •

لماذا انما يهتم بهذه التكهات الخاصة بالصورة التي سيبدو فيها تاريخ عصرنا ، في نظر اناس يتطلعون اليه بعد مضي آلاف الاعوام ؟ لان لدينا حوالي ستة آلاف سنة من التاريخ نستطيع ان نحكم على ضوئها ، ستة آلاف مسنة منذ أن ظهرت - لأول مرة - أنواع المجتمعات البشرية التي نسميها « مدنيات » .

ان ستة آلاف سنة تكاد تكون فترة وجيزة للغاية اذا ما قورنت بعصر الجنس البشري ، بعصر الثدييات ، بعصر الحياة على الارض ، بعصر نظام الكواكب الدائرة حول الشمس ، والشمس نفسها ، وحشد النجوم التي لا تعتبر شمسا عضوا بارزا فيها ، ومع ذلك ، فيالرغم من قصر ستة آلاف السنة الاخيرة ، فانها تقدم لنا أمثلة للظاهرة التي ندرسها الآن - أمثلة على لقاءات تمت بين مدنيات مختلفة . ولبينا يتعلق ببعض هذه الحالات ، نجد اننا نمتنع اليوم بذلك الامتياز الذي سيمنع به مؤرخو عام ٣٠٤٧ أو عام ٤٠٤٧ ميلادية عندما يتطلعون الى عصرنا - ونقصد أننا نعرف قصة هذه الحالات كاملة . لقد كان بعض هذه اللقاءات الماضية في ذهني وأنا أتكهن بالنتيجة التي سيسفر عنها لقاءنا بمعاصرنا .

خذ تاريخ إحدى المدنات السالفة ، المدنية الاغريقية - الرومانية . وانظر كيف تبدو لنا هذه المدنية داخل المنظور البعيد الذي نستطيع ان نراها فيه اليوم :

كان من نتيجة فتوحات الاسكندر الاكبر والرومان ، أن أرسلت المدنية الاغريقية الرومانية اشعتها عبر معظم اجزاء العالم القديم وتغلغلت هذه الأشعة الى الهند ، الى الجزر البريطانية ، بل وصلت الى الصين . ودخل اسكندناوه . أما المدنات الوحيدة التي ظلت في ذلك الحين بمنأى عن هذا التأثير فهي مدنيات أمريكا الوسطى وبيرو ، وهكذا نرى أن التوسع الذي أحرزته المدنية الاغريقية الرومانية يمكن أن يقارن بمدنيتنا من حيث مداها وقوتها . وعندما نتطلع الى الوراء ، الى تاريخ العالم الاغريقي الروماني خلال القرون الأربعة الاخيرة قبل الميلاد ، لا تبرز أمامنا سوى هذه الحركة الضخمة من التوسع والتفلسل . أما الحروب ، والثورات ، والازمات الاقتصادية ، التي عبثت بسطح التاريخ الاغريقي الروماني خلال تلك القرون واحتلت الشطر الأكبر من تفكير الرجال والنساء الذين كانوا يجاهدون لكي يعيشوا وسط هذه الاحداث ، فلا تمنى لنا الشيء الكثير بالقياس الى هذه الموجة الهائلة من النفوذ الحضاري .

للأغريق ، والتي اكتسحت آسيا الصغرى ، وسورية ، ومصر ، وبابل ،  
وبلاد الفرس ، والهند ، والصين .

ولكن ، لماذا نهتم اليوم بأثر الإغريق والرومان في هذه المدن  
الأخرى ؟ إن سبب اهتمامنا بظهور هجوم مضاد لهذه المدن الأخرى ،  
موجه نحو العالم الإغريقي الروماني .

ولقد تم شن جزء من هذا الهجوم المضاد بالأسلوب الذي تم به  
الهجوم الإغريقي الروماني الأول : أي بقوة السلاح . غير أننا لا نكتفي  
اليوم كثيرا بذلك الأمل اليهودي ، اليأس ، الرأى إلى مقاومة الاستعمار  
الإغريقي والروماني في فلسطين بقوة السلاح ، ولا نكتفي بتجديد ذلك  
الهجوم المضاد الذي شنه الباريتون وخلفاؤه من الفرس في ظل الأسرة  
السامانية شرق الفرات ، ولا نهتم بالانتصارات المثيرة التي أحرزها  
العرب المسلمون الأول الذين حرروا الشرق الأوسط - في القرن السابع  
للمصر المسيحي - من الحكم الإغريقي الروماني في أعوام قصار قصر  
الأعوام التي هزم خلالها الإسكندر الأكبر هذه المنطقة منذ ألف عام .

ولكن ، كان هناك هجوم مضاد آخر ، هجوم سلمى ، وروحى . هذا  
الهجوم لم يضرب ويفز القلاع والمقاطعات وإنما القلوب والحقول . وتم  
هذا الهجوم على يد المبشرين بالديانات الجديدة التي ظهرت في العوالم  
التي غزتها المدينة الإغريقية الرومانية بالفترة واكتسحتها . وكان للقديس  
بطرس أمير هذه الرسائل ، وكانت نقطة انطلاق أنتيوخ ، ومنها طغى  
في زحفه الجريء إلى مقدونيا ، واليونان ، وروما ، والتي عجز الملك  
أنتيوخوس يوما في الوصول إليها . وكانت هذه الديانات تختلف في  
طابعها عن الديانة المحلية للعالم الإغريقي الروماني . كان لآلهة الوثنية  
الإغريقية الرومانية جذور ضاربة في مجتمعاتهم الخاصة ، كانوا أصحاب  
طابع محلي وسياسي : أثين بوليس ، فورتونا برايسينا ، ديا روما .  
أما آلهة الديانات الجديدة التي شرعت في هذا الهجوم السلمي المضاد  
الموجه إلى قلوب الإغريق والرومان ، وعقولهم ، فارتفعوا عن مستوى  
نشاطهم المحلي الأول . لقد أصبحوا آلهة عالميين ، يحملون رسالة الخلاص  
للجنس البشري كافة ، لليهود وغير اليهود ، للأساقوليين والإغريق . أو ،  
لنتكلم عن هذا الحدث التاريخي الكبير بأسلوب الدين ، لنقول إن الرب  
الواحد الحق انتهر هذه الفرصة التي تفتحت فيها عقول الناس بفعل  
الارتباط والانقياد للذين تعرضت لهما مدنياتهم المحلية القديمة ، لقد  
استغل هذه التجربة المؤلمة لكي يضيء هذه الأذهان ، كالتفتحة مؤقتة ،

بصورة خطيبته وغايته ، صورة اكل وأصدق من أي صورة استطاعوا استقبالها من قبل .

خذ كلمتي « يسوع المسيح » Jesus Christ ان لهاتين الكلمتين أهمية كبرى بالنسبة لنسا ، وقد نفاخر ونتكهن بأن أهميتهما للجنس البشري مستقل لألغى أو ثلاثة آلاف سنة مقبلة . ان هاتين الكلمتين تشهدان على ذلك اللقاء بين مدنية اغريقية رومانية ومدنية سورية ، وانجب اللقاء الديانة المسيحية . ان Jesus هو ضمير الغائب المفرد لفعل سامي . أما Christ فهي الـ passive participle لفعل يوناني . والاسم المؤلف من الكلمتين يشهد بأن المسيحية ولدت في هذا العالم نتيجة لقران بين هاتين الحضارتين .

ولتفكر في الديانات الكبرى الاربعة ، ذات الرسالة العالمية ، الموجودة في عالم اليوم : المسيحية والإسلام ، والهندوكية ، وذلك الشكل من أشكال البوذية المعروف بالماهايانا والسائد في الشرق الأقصى . ان الديانات الاربعة كلها ، من الناحية التاريخية ، نتاج لقاء بين المدنية الاغريقية الرومانية والمدنيات الأخرى المعاصرة لها . لقد ظهرت المسيحية والإسلام كرد ، للعالم السوري ، على التفاعل الاغريقي الروماني : وجاءت المسيحية في صورة رد غير عنيف ، وجاء الإسلام في صورة رد عنيف . وجاءت البوذية الماهايانية رداً وقيفاً من جانب العالم الهندوكي على التحدي الاغريقي الروماني نفسه ، في حين جاءت الهندوكية في صورة رد عنيف .

واذ نتطلع اليوم الى التاريخ الاغريقي الروماني ، بعد مضي حوالي ألف للثلاثة عام على انقراض المدنية الاغريقية الرومانية ، نستطيع أن نرى ، داخل هذا المنظور ، ان أهم حدث في تاريخ العالم الاغريقي الروماني هو التقاؤه بمدنيات أخرى ، ولا ترجع أهمية هذه اللقاءات الى نتائجها السياسية والاقتصادية المباشرة ، وانما الى نتائجها الدينية البعيدة الأمد . ان هذا التماسك الاغريقي الروماني - الذي نعرف قصته كاملة - يعطينا أيضاً فكرة عن الفترة الزمنية التي تستغرقها اللقاءات بين المدنيات . لقد بدأ تأثير العالم الاغريقي الروماني على المدنيات المعاصرة - والذي يماثل تأثير العالم الغربي الحديث في معاصره منذ مطلع القرنين الخامس عشر والسادس عشر - بدأ هذا التأثير مع فتوحات الاسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد ، وكان عالم الشرق الأوسط لا يزال يتمرجع للمؤلفات الكلاسيكية في الفلسفة والعلوم اليونانية بعد مضي خمسة أو ستة قرون على تحرير الشرق الأوسط من الحكم الاغريقي الروماني على يد العرب المسلمين الأول في القرن السابع للعصر المسيحي . ومنذ القرن

الرابع قبل الميلاد حتى القرن الثالث عشر في العصر المسيحي اقتضى استكمال اللقاء بين المدنية الاغريقية الرومانية ، والمدنيات المصاهرة ، اقتضى مرور اكبر شطر من ألف وستمائة عام .

والآن ، وعلى ضوء هذه الالف وستمائة العام ، في الفترة التي أمضاها اللقاء بين مدينتنا الغربية الحديثة والمدنيات المصاهرة لها . نستطيع أن نقول ان هذا اللقاء بدأ مع هجوم الشماليين على أوطان المدنية الغربية ، كما بدأ مع رحلات الكشوف الكبرى التي قام بها الغرب عند مطلع القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر من عهدنا . ولا يؤلف هذا سوى اربعة قرون ونصف قرن الى الوقت الحالي .

فلنفترض ، اذا شئت أن قلوب الناس وعقولهم تتحرك اليوم بأمر مما كانت تتحرك بالامس ( بالرغم من أنني لا أعرف دليلا يثبت أن الجزء اللاشعوري من الانسان نفسه يغير من سرعته بشكل ملحوظ ) - حتى لو سلمنا بهذا ، بدأ لنا وكاننا مازلنا في فصل مبكر من فصول قصة لقائنا بمدنيات المكسيك وبيرو والمسيحية الاورثوذكسية والاسلام والعالم الهندوكي والشرق الاقصى . ولم نشرع الا الآن في رؤية بعض النتائج التي سببها تأثيرنا فيهم ، غير أننا لم نبدأ تماما في رؤية نتائج اجراءاتهم المضادة القادمة ، وفعلها علينا ، وهي اجراءات ستكون هائلة لا محالة .

وفي جيلنا فقط رأينا مظهرا من المظاهر الاولى لهذا الهجوم المضاد ، ولقد وجدناه مزعجا للغاية ، وسواء احببنا ذلك أو كرمناه ، فاننا قد شعرنا بخطورته ، واقصد بالطبع تلك الحركة التي احداثها ذلك الفرع من فروع المسيحية الاورثوذكسية الثابت في روسيا - انها حركة خطيرة مقلقة ، ولا يرجع هذا الى القوة المادية الكامنة وراءها - فالروس ، على كل حال ، لم يحصلوا بمد على القنبلة الذرية (١) ، غير أنهم قد ابتدوا بالفعل ( وهذه هي النقطة الهامة ) قدرة على تحصيل الارواح الغربية الى « ايدولوجية » غير غربية .

لقد التقط الروس فلسفة اجتماعية دينسوية غربية : الماركسية ، ولكن تخطى حين تقول ان الماركسية حرفة مسيحية ، ورقة منزوعة من كتاب المسيحية - عوملت وكأنها الانجيل كله . التقط الروس هذه الديانة الضالة ، وأحاولوا الى شيء من صنع أيديهم ، وهم يستعدونها اليوم نحونا . هذه هي اول طلقة في الهجوم المضاد الموجه ضد الغرب ، غير أن

(١) كتب موبس هذا المقال عام ١٩٤٦ .

هذا الهجوم الروسي المضاد - الذي جاء في شكل الشيوعية - قد يبدو للمرة هينا عندما ترد مدنيات الهند والصين - الأكثر خصياً فيما يبدو - ترد بدورها على تحدينا الغربي . ويحتمل ، في نهاية الامر ، أن تحدث الهند والصين في حياتنا الغربية مؤثرات أعمق بكثير من المؤثرات التي يمكن أن تعلم روسيا بأحداثها مستعينة بشيوعيتها . بل إن مدنية المكسيك ، المحلية الضعيفة نسبياً ، بدأت ترد أيضاً . إن الثورة التي أخملت المكسيك تمر بها منذ عام ١٩١٠ ميلادية قد تفسر على أنها خطوة أولى لثلاطحة بالرداء العلوى للمدنية الغربية ، تلك المدنية التي فرضناها على المكسيك في القرن السادس عشر . وما يحدث اليوم في المكسيك قد يحدث غداً في مهد مدنية أمريكا اللاتينية المحلية : في بيرو ، وبوليفيا ، وبالاكوادور ، وكولومبيا .

### - ٣ -

ولبل أن أترك الموضوع يجب أن أعلق على سؤال تفاديشه حتى هذه المرحلة ، هذا السؤال هو : ماذا نعني بكلمة « مدنية » ؟ واضح أننا نعني بها شيئاً ، ذلك لأننا حتى قبل أن نحاول تحديد مقصدنا نجد أن تصنيف المجتمعات الانسانية - المدنية الغربية ، الاسلامية ، ومدنية الشرق الأقصى ، والهنوكية وحلم جرا - يبدو شيئاً مقبولاً إن هذه الاسماء ترسم في اذهاننا صوراً محدودة للدين ، والعمارة ، والتصوير ، والسلوك ، والعادات . ولكن ، من الأفضل أن نحاول الاقتراب من المعنى الذي نقصده من اصطلاح قتلناه الآن بحثاً . واعتقد أنني أعرف ما الذي أعنيه بكلمة مدنية : اننى متيقن ، على الأقل ، من أنى أعرف كيف وصلت إلى رأيي الخاص فيها .

التي أقصد بالمدنية أصغر وحدة للدراسة التاريخية يصل إليها المرء حين يحاول فهم تاريخ بلد : ليكن الولايات المتحدة الأمريكية أو المملكة المتحدة . ولو حاولت فهم تاريخ الولايات المتحدة في حد ذاته ليدا لك غير مفهوم : لن تستطيع أن تفهم الدور الذي لعبه الحكم الفدرالى ، والحكم اللىابى ، والديمقراطية ، والتصنيع ، والزواج بوحدة فقط ، والمسيحية ، لأن تفهم الدور الذى لعبته هذه الأشياء في الحياة الأمريكية ما لم تتطلع إلى ما وراء حدود الولايات المتحدة - إلى أوروبا الغربية وإلى الاقطار الأخرى التى أنشأها الأوربيون الغربيون فيما وراء البحار ، وما لم تذهب إلى ما وراء نشأتها المحلية ، إلى تاريخ أوروبا الغربية في القرون الخابرة ،

قبل أن يغير كولومبوس أو كايوت المحيط . ولكنك حين تريد فهم التاريخ الأمريكي والانظمة الامريكية لأغراض عملية لا تحتاج الى تغطى أوروبا الغربية والتطلع الى أدبها الشرقية أو العالم الإسلامى ، ولست بحاجة الى اللهاب الى ما وراء نشأة مدينتنا في أدبها الغربية ، الى مدهور المدنية الأمريكية الرومانسية وسقوطها . ان هذه العنود الزمانية والمكانية تغطينا وحده مفهومه للحيلة الاجتماعية ، وحدة تعتبر الولايات المتحدة أن بريطانيا العظمى أو فرنسا أو هولندا جزما منها : سمها المسيحية الغربية ، المدنية الغربية ، المجتمع الغربي ، العالم الغربي . وبالمثل ، اذا بدأت باليونان أو الصرب أو روسيا وحاولت فهم تاريخها ، فانك تصل الى مسيحية أو تودكسية أو عالم بيزنطى . وإذا بدأت ببراكش أو أفغانستان وحاولت فهم تاريخها ، فانك تصل الى عالم مسلم . ولتبدأ بالبغال أو ميسور أو راجبوتانا ، فستجد علما هندوكيا . وابدأ بالصين أو اليابان وستجد عالم الشرق الأقصى .

وبالرغم من أن العولة ، التي يتصالح أن تكون من رعاياها ، تطالب بولائنا بصورة استيعادية ملموسة ، وبخاصة في العصر الحديث ، إلا أن المدنية التي تغطي بعضويتها تؤثر في حياتنا أكثر مما تؤثر الدولة . وفي أغلب مراحل التاريخ نجد أن هذه المدنية التي نحن أعضاء فيها تحتضن مواطني دول أخرى الى جانبنا . ان هذه المدنية أقدم من دولتنا : ان عمر المدنية الغربية يقرب من ألف وللمائة عام ، أما عمر مملكة إنجلترا فلا يتعدى ألف عشم ، في حين نجد أن عمر المملكة المتحدة لإنجلترا وأسكتلندا أقل من مائتي وخمسين عاما ، ولا يزيد عمر الولايات المتحدة كثيرا عن مائة وخمسين عاما . والدول عرضة لحياة قصيرة وموت فجائي : أما المدنية الغربية التي قد تشترك ، أنت وأنا ، في عضويتها ، فقد تعيش لقرون بعد أن تكون المملكة المتحدة والولايات المتحدة قد اختفتا من خريطة العالم مثلما اختفى المصاصران الرحلاك : جمهورية البندقية ، والملكية المزدوجة للنمسا والمجر . هذا واحد من الأسباب التي جعلتني أطالب بأن انظر الى التاريخ على ضوء المدنية ، لا الدول ، وأن تعتبر الدول أشبه بظواهر سياسية تابعة ، ومؤقتة ، في حياة المدنية ، المدنية التي تظهر الدول وتختفي في أحضانها .





## خاتمة رحلة (١)

عندما قللنا واجهين من بيبيلوس الى بيروت ، مساء أمس ، رأينا الشمس وهي تشرق في البحر الأبيض المتوسط مرة أخرى . كان من الممكن ألا يختلف هذا اليوم عن أي يوم آخر في رحلتنا . فلقد بدأ لنا أننا مازلنا بعيدين عن إنجلترا بعدنا عنها ونحن في اندونيسيا أو أليابان . ولكن ، ها نحن في هذا الصباح قد عدنا الى منزلنا في لندن . وفي مطار لندن ، منذ ساعة مضت ، أطلقت خمسة وجوه صغيرة باسمه من باب مبنى الجمرات ، وأخذت تنتظرنا حتى انتهت من إجراءات أمتعتنا ، وقبل ذلك بساعتين ، عندما أطلقت علينا الشمس من جديد بعد أن أنتت إحدى رحلات العودة الضخمة من الغرب الى الشرق ، أخذت تسطع فوق قم الألب المغطاة بالجليد ، على حين كان ماتهرون يقيب وراء كنفى الأيسر .

ونحن لا تكاد نصدق أننا طفنا بالكرة الأرضية « طبقا للخطة الموضوعية » . فقبل للبدء في الرحلة - حتى على ذلك الآن أكثر من مئمة عشر شهرا - انهكنا لمام ونصف عام على الأقل في تخطيط رحلتنا ، وبنت تقديراتنا ومراسلاتنا أقرب الى دراسات أكاديمية داخل جامعة منها الى استعدادت حقيقية لرحلة ستتم بالفعل . هل ساجد نفسى حقا ، يوم السبت الثامن والعشرين من ابريل عام ١٩٥٦ ، وقد صممت الى ظهر من . رانجيتانا وهي تشرق هياة كناة بناما ؟ وهل ستستقر زوجتي بالفعل

---

في عام ١٩٥٨ نشرت مطبعة جامعة أكسفورد كتاب « من الشرق الى الغرب ... رحلة حول العالم » . وفيه يتحدث من الرحلة الطويلة التي قام بها هو ولزوجته حول العالم ، والتي استغرقت أكثر من ١٧ شهرا . وأتيح له خلالها ان يلسوف آسيا ، غير ان الظروف حالت دون زيارته للقارة الأفريقية . و «خاتمة رحلة » هو الفصل الثاني ينتهي به توينبي كتابه .

في القمرة التي حجزناها ؟ وفي يوم الاثنين ، التاسع عشر من شهر مايو عام ١٩٥٧ ، في الساعة الرابعة مساءً ، هل ساهبط حقا في آشور من مطار بغداد - الموصل المسائي ؟ وقبل أن تبدأ الرحلة بدأ هذا غير محتمل الوقوع . وهكذا بدأنا الرحلة وقلوبنا في حلقنا . وكان لابد أن ننجح في تنفيذ جزء كبير من البرنامج الطويل قبل أن نشعر بأية ثقة في نجاح الجزء الباقي . ولقد كانت هناك ، بالطبع ، خسائر ومكاسب . لقد خسرت بوليفيا لأنني مرضت ، ولكنني اكتسبت العربية السعودية وقطاع غزة بفضل دعوات كريمة لم تكن تتوقعها . وعند الموازنة ، نجد أن المكاسب فاقت الخسائر ، وهو شيء لم تكن نتوقعه إلى حد كبير .

وعندما يشرع امرؤ في وضع خطة لرحلة تستغرق سبعة عشر شهرا ، يتصور سلفا أن هذا مستحيل له وقتا كافيا. لرؤية العالم بأكمله ، ورؤيته في آناء وتمهل . فإذا دخل في التفاصيل اكتشف أنه قد يأمل نوع رؤية شطر ضئيل من سطح الأرض إذا هو استطاع كل ساعة وكل دقيقة . أن سطح الكرة الأرضية لا حدود له ، ومهما قلغل في أحد الاتجاهات فسيكون هناك دائما هدف مثير قريب منه جدا ولكنه لا يستطيع أن يلمسه . ففكر في اضطرابك إلى العدة. إلى بوهاتة مرة أخرى على حين. لقد هناك ، عبر حدود بيرو - بوليفيا - بعيدا عن مرمى البصر فقط - مدينة تياواناكو : المدينة التي ألفت بالحجر الفخيم المجلجل في البركة الهائلة لمدينة بيرو الأولى . . . وفكر في وقتك عند ممر كوهات ، محملا ناحية الجنوب الشرقي تجاه وزيرستان دون أن يتلح لك الوقت لتخطي الحدود الشمالية الغربية من هنا إلى كويتنا . وخلال الرحلة يتعذب المسافر دائما من جره شعوره بأن هناك أماكن كثيرة لم يرها . وفي نهاية الرحلة، يكتشف أنه عاد إلى بيته ونعمه شحنة ضخمة من المطرف الجديدة . وهكذا مر سبعة عشر شهرا وأقدامنا كم نغا أرض أفريقية أو أرض جزيرة واحدة من جزر البوليز ، وشاهدنا - ولكننا لم ندخل - الصين ، وأفغانستان ، والاتحاد السوفييتي . ( رأينا الصين من الحدود الجديدة لهرنج كونج ، وأفغانستان من الطرف الغربي لمرخيبر ، والاتحاد السوفييتي من الطرف الشمالي الغربي لاقليم جيلان الفارسي المنخفض ) . وقد يبدو من هذه أننا أضعنا وقتنا عبثا . ولكننا كنا نهرول ، من البداية حتى النهاية ، كما أننا سعيانا إلى رؤية عدد من البلدان الكثيرة التي تكتظ بها آسيا -

«يحتل إلى أن معظم المسافرين يسافرون ليصلوا إلى مكان ماء وهؤلاء  
هم الذين تسهر على راحتهم أجهزة النقل . أما إذا كان المرء ينتمي إلى  
«القلة التي تسافر لكي ترى ما في طريقها فإن عليه أن يواجه عدوين  
للدودين : العاصمة والطائرة .

« وكلما كان جهاز الطحن أفضل ، قلت المواد الغذائية في الريف ،  
وكلما كانت وسيلة النقل أفضل ، قلت الاستفادة من الرحلة » . ان  
الأجهزة الأمريكية ذات الطاقة السالمة تطرد الفيتامينات من الدقيق .  
والطائرات البريطانية ذات الطاقة السالمة تنقل المسافرين فوق السحاب إلى  
ارتفاع يسته من رؤية البلدان التي يمرق فوقها - ان أفضل وسيلة لنقل  
المسافر التي يريد أن يرى العالم هو أن يسير على قدميه .

أما بالنسبة لمواضع العالم فانها كلها ، تزداد ضخامة ، وتشابها.  
ومعظمها ميسية . انها تجذبك إلى بيتها ، بيت العنكبوت وتتأمر معها جميع  
وسائل النقل ، وما ان تقتنصك حتى ترفض إخلاء سبيلك . انها لا تستطيع  
أن تتصور أنك تريد أن تهرب منها حقا إلى الريف . ولكن الريف ، حتى  
في يومنا هذا ، مازال هو العالم الحقيقي . ان العاصمة لا تمثل البلد في  
قليل أو كثير . ولقد ولدت في لندن ، وعشت في لندن طيلة حياتي .  
ولكنني اذا أردت أن أعد دراسة جادة عن وطني فسأهرب من لندن وأذهب  
نفسى إلى هدرز فيلد وورينجتون . ان عجز العاصمة عن تمثيل وطنها  
لأحد عيوبها الفعوية ، غير أن هذا العجز يصل إلى الذروة في هذه  
البلدان - وهي تعمل الفالسية - التي تمر اليوم بمرحلة التمدن . ذلك  
لأن التمدن يبدأ في المدن ، وهو يشكل حياة الحضر وفقا للاتساع  
الغربية ، وهكذا نجد أن الثورة بين العاصمة والريف - في أمريكا اللاتينية  
والبلدان الآسيوية - هائلة جدا ، كما أنها آخذة في الاتساع المنتظم .  
مثال هذا أنك تشعر ، وأنت تدخل طهران ، وكأنك قد دخلت وراءك  
إيران - التي تعتبر طهران عاصمتها الرسمية . ولو قد وضع جنى عابت  
مدينة طهران موضع ليم ، ووضع ليم موضع طهران في ليلة واحدة ،  
طان الفلاحين الإيرانيين وفلاحى كوشوا سيحيون كل السوق في صباح  
اليوم التالي كالمعتاد ، ومن المحتمل أنهم لن يكتشفوا حدوث أدنى تغير .  
فليس الغرب من وجود ليم داخل وطنها ، وليس الغرب من وجود طهران

داخل إيران • والاثنين متعابيهتان تشابه حيتي بسلة • وإذا كان حلق المسافر هو رؤية عواصم العالم ذات الطابع الموحد ، فأحرى به أن يجنب نفسه عناء حزم حليبية • وأينما كان الموء ، فسلا به من أن يصطدم بهذا النتائج الذي صنمه عصرنا الحديث •

لقد ضاع الكثير - الكثير جدا من شهوري الثمينة السبعة عشر في الذبول داخل العواصم • وضاع الكثير منها في الاندفاع داخل الطائرات • غير أنني لم أفقد تماما تلك المعركة التي خضتها مع هذين العلوين اللذين يترصدان المسافرين : العاصمة والطائرة • لقد مررت فوق ذؤابات أشجار غابة الأمازون ، مستقلا طائرة برمائية ، وارتقيت أحد وديان إيران الخفية متطليا ظهر حمار ، وتسملت في طريق سايك عند بتراسيرا على الاقدام • ان هذه اللحظات للعالم الحقيقي شئرات لا تقدر بثمن • والآن ، وقد حصلت هذه الشئرات ، يجب أن أبذل قصارى جهدي لأتحدث عنها •

من مؤلفات توينبي

~~~~~

- Nationality and War. (1915).
- The New Europe. (1915).
- The Western Question in Greece and Turkey. (1922).
- Greek Historical Thought. (1924).
- Greek Civilization and Character. (1924).
- The World After the Peace Conference. (1925).
- Nations of the Modern World. Turkey: With K. P. Kirkwood. (1926).
- A Study of History. The First Three Volumes. (1934).
- A Study of History. Three Other Volumes: (1939).
- Christianity and Civilization. (1940).
- Civilization on Trial. (1946).
- East to West. A Journey Round the World. (1956-1957).
- A Study of History. Reconsiderations. (1961).

فهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم الترجمة	٣
الانسان والجبل المجرم	١٥
قطاع غزه	١٩
مع أرنولد توينبى	٢٣
الجنس البشرى ، ذلك البطل الذى لا يقهر	٢٧
لقاءات بين المدنيين	٤٥
خاتمة رحلة	٥٥
من مؤلفات توينبى	٥٩

هيئة قناة السويس

مناقشة عامة

تطرح هيئة قناة السويس - في مناقشة عامة بين مغاوى القطاع العام والخاص - عملية انشاء مركز طبى بورتوفيق . ويمكن الحصول على مستندات المناقشة بالحضور شخصيا بمقر الهيئة بالاسماعيليه (قسم المشروعات) نظير مبلغ عشرة جنيهات . وتقدم العطاءات داخل مظروفين مغلقين بالشمع الأحمر ، ويكتب العنوان الخارجى باسم السيد رئيس هيئة قناة السويس - الادارة الهندسية (قسم المشروعات) في ميعاد اقضاء الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ٢٣ من يونيه سنة ١٩٦٤ ويجب أن تكون العطاءات مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ١٠٠٠ جنيه ولئن يلتفت الى العطاءات التى ترد بعد الموعد المحدد او الغير مصحوبة بالتأمين الابتدائى .

الدولة العثمانية للظلمة والفساد

الدار القومية للطباعة والنشر



العدد ٩٢
الطبعة ١٥
١٩٦٤/٦/١٨